An-Najah University Journal for Research - B (Humanities)

Volume 35 | Issue 10 Article 4

2021

Standards of textuality in the linguistic structure of Al-Jahiz's "the book of misers"

Naeem Alsayyed
PhD Student: Department of Arabic Language, College of Arts, University of Jordan, Jordan,
naeemalsayyed22@gmail.com

Mohammed Al-Sharida
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Jordan, Jordan

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b

Recommended Citation
Alsayyed, Naeem and Al-Sharida, Mohammed (2021) "Standards of textuality in the linguistic structure of Al-Jahiz's "the book of misers"," *An-Najah University Journal for Research - B (Humanities)*: Vol. 35 : Iss. 10 , Article 4.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in An-Najah University Journal for Research - B (Humanities) by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 35(10) 2021

المعاييرُ النصيَّةُ في البنيةِ اللغويّةِ عندَ الجاحظِ في البُخلاءِ#

Standards of textuality in the linguistic structure of Al-Jahiz's "the book of misers"

نعيم السيد*، ومحمد الشريدة**

Naeem Alsayyed* & Mohammed Al-Sharida**

*طالب دكتوراه: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن. ** قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

* PhD Student: Department of Arabic Language, College of Arts, University of Jordan, Jordan. ** Department of Arabic Language, College of Arts, University of Jordan, Jordan

الباحث المراسل: naeemalsayyed22@gmail.com

تاريخ التسليم: (2019/6/27)، تاريخ القبول: (2019/10/6)

ملخص

نظريّة نحو النصّ من أحدث الدّراسات اللغويّة اللسانيّة الغربيّة الحديثة التي تسعى جاهدة بكل مقوماتها الفكرية، ووسائلها السبكية النحوية والمعجمية إلى ضبط النصوص من حيث: تماسك النص، وتشكّله على حالة متناسقة عبر أنظمة معايير نصية قادرة على شدّ أواصره، وصهر تراكيبه النحويّة، وربط أفكاره بمجموعة من العلاقات الثنائيّة المنطقيّة التي تبرز أوج الدلالات السامية، وهذا كله مؤوّل عليه في نظريّة نحو النصّ؛ لتفجير طاقات تعبيرية هائلة غير مهدورة ليتلقاها المتلقي. واختير بخلاء للجاحظ ؛ للكشف عن تجلي تلك المعايير النصيّة في بنية الجاحظ اللغويّة؛ لإثبات أنَّ ما جاءت به نظريّة نحو النص من معايير نصية، وعلائق جملية ضارب بجذوره في تراثنا النقدي البلاغيّ القديم، بصورة جزئية متفرقة.

الكلمات المفتاحية: نحو النص، معايير نصيّة، البنية اللغويّة.

Abstract

Text grammar approach, is one of the latest western linguistic literature theories, using all its intellectual capacity and its literary composition techniques, grammatical and lexical, to tune texts according

البحث مستل من رسالة دكتوراه للطالب نعيم سميح محمد السيد بعنوان: "تجليات نحو النص في ضوء الدراسات اللسانية والأسلوبية .البخلاء أنموذجاً"، والتي تم مناقشتها في الجامعة الاردنية بتاريخ 2019/7/15.

to: text coherence and cohesion and how the sentences are linked by a consistent theme tying its structure and ideas into dual logical connections that manifest the optimum terminological noble connotations. This all is taken into respect in the text grammar approach to release an enormous fulfilling power of expression for the reader to receive. Al-Jahiz's "The book of misers" was chosen to reveal the manifestation of those standards in Al-Jahiz's the linguistic structure to demonstrate that what text grammar approach has introduced, the textual standards and relations between sentences, is deeply rooted across the ancient Arabic eloquent literary heritage.

Keywords: Text Grammar, Standards of Textuality, The Linguistic Structure.

مقدمة

إنّ الدراسة العلمية والموضوعية للغة المنطوقة والمكتوبة، هي مجال اهتمام اللسانيّات؛ للوصول إلى الخصائص العامة لهذه اللغة، والنظر المعرفي القديم ظلّ يربط اللسانيات بدراسة الجملة فترة زمنيّة طويلة؛ على اعتبارها وحدة لسانيّة كبرى، وكأن اللسانيّات تعاملت مع الجملة في دائرة ضيّقة؛ لأنها محط اهتمام كبير للغويين، لا يستطيعون الانفكاك عنها؛ ظنًا منهم أنّ غناها على المستوى الصرفي والنحوي والدلالي كافٍ لإمعان النظر فيها جملة من الزمن دون جدوى جديدة، أو مصلحة لغوية ترتقي بالنّظام اللغوي نحو دراسة علمية موضوعية؛ للكشف عن حقائق لغوية مجهولة، إلى أن تمخض عن ذلك المعايير النصيّة التي تنظر إلى النّص لا الجملة كوحدة لغويّة متكاملة، فيه عناصر ووسائل سبكية تعمل على تماسكه، وعلاقات ثنائية تشدّه مع بعضه بعضًا، وانطلاقًا من هذا المبدأ اللساني اللغوي الحديث أجرى الباحث دراسة نصيّة عبر المعايير النّصيّة السبعة: السبك والحبك والقصدية والمقبولية والإعلامية و التناص على قصص ونوادر البخلاء لمؤلفه الجاحظ؛ لتجلية المعايير في تلك النوادر، والكشف عن أسباب تماسكها وانسجامها.

مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها

لعلها تتجلى للباحث في عدم استكمال بعض الدراسات اللسانية للمعايير النصية السبعة، واقتصار بعضها على جزء من المعايير، علاوة على عدم تطبيق تلك المعايير النصية على أمهات الكتب العربيّ إلا اليسير منها، وإفراط مؤلفيها في الجانب اللغوي على حساب الجانب الأدبي، ولمّا كان من الطبيعي في مجال البحث العلمي والدراسات اللغوية الحديثة امتزاج النظري بالتطبيقي؛ قام الباحث باختيار نماذج من البخلاء لمؤلفه الجاحظ؛ لتجلية العوامل النسقيّة والسياقيّة للنص في ضوء نظرية نحو النص؛ التي تتبنى فكرة الكشف عن المعايير النصية السبعة، وقد اختير هذا الكتاب دون سواه؛ لأنه لم يدرس من قبل في ضوء علم نحو النص، بغية الوصول إلى صورة

النظر النحويّ. وتكتسب هذه **الدراسة أهمية** كبرى ؛ كونها تسير نحو نظريّة أو اتجاه لغويّ غربيّ حديث من اللسانيّات الوصفيّة، إذ إنها تتماشى مع آراء الدارسين اللسانين العرب وغيرهم، بوصفهم للبنية الكلية للنص، وتحليلها وبيان علاقاتها، كما تكشف هذه الدراسة مدى مطابقة البنية اللغويّة الجاحظية النصّية للمعايير النصية التي تشكل في نهاية المطاف تتابعًا لغويًّا نصيًّا، يحقق تماسك النص وتناسقه.

كما تجلّى **الهدف** من هذا العرض في تحليل مقاصد نصوص البخلاء، وكيف تمضي تلك النصوص وفق أسس معياريّة نصيّة، تعمل على ضبط مفهومها الدلالي الذي ينبثق إلى دلالات عميقة، وبيان دور المتلقي في اندماجه مع نصوص البخلاء في حالة فنيّة إبداعيّة فريدة. ومن الأسئلة المتعلقة التي نسوقها في صلب الدراسة، أو نرى أهمية حضورها في معرض المعايير النصيّة في البنية اللغوية عند الجاحظ في البخلاء، هي:

1. مفهوم كل من: الجملة/ النص/ الخطاب/البنية اللغوية؟
2. كيف استظهر نص البخلاء معايير نحو النص؟
3. هل يعد السبك النحوي في نص البخلاء من أهم معايير نظرية نحو النص؟
4. هل قدمت البلاغة العربية ومنها البخلاء مادة خصبة لنحو النص الحديث؟
5. هل معيار (السبك النحوي) يكسب نصوص البخلاء ونوادرهم درجة عالية من النصية؟

الدراسات السابقة

يعد مبحث لسانيات النص/ الخطاب من أهم المباحث في اللسانيات الحديثة؛ إذ يمثل تتمة للسانيات الجملية كوحدة لغوية كبرى لحقب طويلة، وقد ظهرت مجموعة من القضايا التي كشفت الحجاب عن حدود اللسانيات الجملية، وسلبيات وقوفها عند الجملة بوصفها موضوعًا، فظهرت أطروحات جديدة تهتم بالنصوص، وتحليل الخطابات بشتى أنواعها، ومن تلك الدراسات المعنية بدراستنا:

1. تجليات نحو النص عند عبد القاهر الجرجاني (عفاس معمر) رسالة ماجستير صدرت عام 2012م، جامعة وهران، الجزائر، تمحورت حول تجسيد الرؤية العربية المتمثلة في كتاب "دلائل الإعجاز" عند القاهر الجرجاني حيث قامت هذه الدراسة على إشكالية مفادها: هل يمكن لنحو النص أن يكون قاسما مشتركا بين مدرستين، إحداهما عربية، وأخرى غربية يمثلها فان دايك؟. ولكن هذه الدراسة لم تحقق دلائل المعايير النصية للوصول إلى التجليات؛ بسبب شرح مجموعة من نصوص الكتاب، ومقارنتها بالتصورات الغربية على حساب تجليات نحو النص في كتاب دلائل الإعجاز.
2. أثر الربط المعجمي في اتساق النص القرآني في سورتي (الرحمن والواقعة) أنموذجا (عبدالملك العايب) رسالة ماحستير صدرت عام 2014/2013، وقد اختار الباحث في هذه

الدراسة الربط المعجمي؛ كونه يحمل روابط أساسيّة في تماسك النص وإظهاره، كما أنه يصف ذلك الربط المعجمي على أنه أساس سر نجاح التواصل اللساني؛ لأهميته في تكوين اللغة المتعالقة بأجزائها، والمترابطة بمعناها. وعمل على تجلية الربط المعجمي من ناحية بلاغية، لما له من أثر في سبك النص دون تناول معايير النص الأخرى.

3. تجليات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني (نوافل يونس الحمداني). كتاب صدر 2014م عن دار العربية ببيروت، وهي دراسة لسانيّة متطورة تعتمد على النص كليًّا، كما عنيت بتنوعات الخطاب وتقليبات جهاته على نحو يثير فاعلية الزمن في وعي القارئ، أو تشكلات الضمير في بؤرة التلقي عنده. إن أهمية كشف فضاء الالتفات متأتية من وقوف هذه الفكرة على تدارس ظاهرة قرآنية متميزة تستكشف في حسن القراءة لدلالات النص القديم، ومن ثم استنطاق بؤر تشكل مركباته في النسق البلاغي. والجامع ما بين هذه الدراسة وما نحن بصدده يكمن بجعل النص مركزا ثابتا في الدراسة، والاعتماد على المتلقي في الخطاب القرآني، وهو جزء حقيقي من موضوع دراستنا، وذلك من خلال الإشارة إلى الالتفات عبر أحد المعايير النصية التي تجعل النص متماسكا متناسقًا.

4. بنية الخطاب السردي في بخلاء الجاحظ (عقيلة بعيرة) رسالة ماجستير صدرت 2012/11/20م، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، رأت الباحثة كتاب البخلاء بداية زمنية فعلية لميلاد الفن القصصي في الأدب العربي، وكذلك تعدد الخطابات يعني وجود تنوع للأنماط اللغوية، علاوة على ذلك رصد مقدرة الجاحظ على تشخيص ظاهرة البخل عبر خطاباته السردية، إذن تعد هذه الدراسة من الدراسات السردية التي تسعى إلى البحث في التراث الأدبي العربي القديم، كما تمثل هدفها الأبرز في مقدرة كتابنا الأوائل في العصر العباسي على توظيف التقنيات النقدية المعاصرة كما الحال عند الجاحظ في بخلائه، من تعدد للأنماط اللغوية، وتنوع للبنى السردية والأساليب، وأخيرا عملت هذه الدراسة النافعة مع بحثنا الموسوم (المعايير النصية في البنية اللغوية) عند الجاحظ في البخلاء على بيان الدور اللساني اللغوي في نظم الكلام المنثور المتماسك.

5. سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ (باهية سعدو) رسالة ماجستير صدرت عام 2010م، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، فتميزت هذه الدراسة بابتكارها العواطف الوجدانية ومدى تأثيرها في الخطاب النثري، حيث تتمكن اللغة النثرية من اتخاذ السرد والوصف دورًا استراتيجيا في إضاءة الجانب الخفي من شعور الذات البخيلة، مما يستدعي ذلك الولوج إلى عالم النفس؛ لمعرفة واستقطاب خفاياها، وبيان علاقة ذلك في تشكل طبقة من البخلاء في زمن الترف والبذخ، إذ تتوافق مع بحثنا؛ كونها عامل أساس في استظهار التجليات الفنية الإبداعية في بنية الجاحظ اللغوية المتشبعة لنظرية نحو النص.

المبحث الأول: نحو النص/ لسانيات الخطاب: المفهوم والنشأة

مما لا يعتريه شك أنّ اللسانيات الحديثة اهتمت ولفترة طويلة من تاريخها بدراسة الجملة من زوايا عديدة منها: حدود الجملة، وبنيتها، ونحويتها، إلى غير ذلك من المستويات. ومردّ هذا

الاهتمام متبلورٌ كون الجملة شكلاً لغويًا ثابتًا في ذاته مستقلاً عن أيّ تركيب نحوي آخر. فانشغل اللغويون في الجملة دراسة وتأويلًا، كما كان الحال عند بلومفيلد وهاريس في التوزيعية، وتشومسكي في التوليدية التحويلية على سبيل المثال لا الحصر. غير أنّ الدرس اللسانيَ في كنهه يسعى نحو ما يحقق له سبلًا تعينه على ترك بصمة علمية رصينة، تعجّ من خلالها حقول الدراسات اللغوية، متبنية آراء وأفكار يصعب زعزتها دون موجةٍ حادةٍ مساوية لها أو متفوقة عليها. وبناءً على ذلك انتبه الباحثون أن لسانيات الجملة تعمل في مجال ضيق، وبهذا الصدد يقول روبرت دي بوجراند: "من المتعلق أنّ هذا التركيب الأساسي (يقصد به الجملة) قد أحاط به الغموض والتباين حتى في وقتنا الحاضر ... وما زالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف صراحةً أنها تعريفات نهائية؛ كونها أساسًا لتوحيد تناول موضوعها" (1).نستنتج من قول دي بوجراند فكرًا لغويًا واضحًا، عبّر عنه معللًا إنكاره فيما يتعلق بتركيب الجملة، والوقوف عليها زمنًا دون جدوى، ترتقي بالدرس اللساني أفقًا تحقق له قدمًا منشودًا. ولا نعني مما تقدّم إلغاء الدراسات والأبحاث التي تم تناولها من جانب اللسانيات الجملية، إلا أنه ثمة اجتهادات لغوية في الجملة ذاتها لا نستطيع غض الطرف عنها بعد أن شكّلت في ذاتها مرحلة انتقالية كانت دافعًا قوياً؛ لتجاوز الجملة إلى دراسة النص: من بينها وقوفها عند تحليل الجملة باعتبارها وحدة كبرى، وموضوعاً للسانيات، علاوة على ذلك عجزها عن طرح وصف وتفسير لمتتالية من الجمل المتماسكة، وكذا عدم القدرة على الإحاطة لسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتداولية الاستعمالية. وهذا بدوره كان شافيًا لجعل بعض اللسانين يقدِمون تارةً نحو انفتاح الدرس اللساني على دراسة النصوص، ويدعون إلى تجاوز اللسانيات الجملية؛ كونها عاجزة عن تقديم وصف عام وتفسير شامل لمتتالية من الجمل المتماسكة من حيث الشكل والدلالة تارة أخرى.

ومن أمسّ التعريفات دقة لنظرية نحو النص ما قاله عبد الرحمن طه أنّ النص: "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينهما بعدد من العلاقات"(2)، هذا المفهوم للنص يبين مدى الفهم العميق لنحو النص خاصة تناوله لموضوع العلاقات التي تربط الجمل ربطًا متماسكًا سواء كانت علاقات داخلية أو خارجية، مما يشير هذا المفهوم إلى فكرة تماسك النصوص، وأن العلاقات هي جوهره الحقيقي. ومن الجدير بالذكر أن عثمان أبا زنيد قام بتتبع دقيق لمفهوم النص بدءًا بالمعاني المعجمية حتى آخر ما توصلت إليه الدراسات النصيّة، بل إنه وضع تعريفًا صريحًا مبنيًا على منهجية علمية بعد استقرائه للنص إذ يقول: "فإن الذي ارتضيه له تعريفًا هو أن النص نظام كلي ينطوي على أبعاد دلالية، ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغوية ومعطيات إنجازية، خاضعة

---

(1) دي بوجراند، روبرت، *النص والخطاب والإجراء*، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1988م، ص88.

(2) طه، عبد الرحمن، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص 35.

للدلالة العميقة المنتجة له ولإطار التلقي المفترض في مرحلة الإنتاج"[1]، ويتسم هذا التعريف بأبعاد علمية محددة نجملها على هذا النحو:

- **البعد الأول**: ربط النص بالنظام أي بمعنى أن النصّ لا يقوم على أسس عشوائية غير منظمة، فهو يسير وفق طريق منهجي مضبوط.
- **البعد الثاني:** كل نصّ يقسّم إلى مجموعة من الفقرات المتعددة بناء على البعد الدلالي، فهذا التقسيم خُلق لأجل تحقيق أبعادٍ دلالية، وليس لأجل خرق هذا النظام الذي هو بالأصل ينطوي على الأبعاد نفسها، وكل فقرة تضم مجموعة من الجمل التي تستند إلى بعضها بعضًا؛ لأجل تحقيق الدلالة نفسها لتلك الفقرة عبر أدوات الربط التماسكي.
- **البعد الثالث:** وجود علاقات على شكل أدوات معرفية مرتبطة بتماسك النصوص علامة على حضور علاقة بين نصين، وميزة خاصة يتسم بها الفضاء النصي، وهذه علاقات داخلية تكون أوخارجية، فشأنها شدّ أواصر النص؛ ليظهر بصورة كاملة على شكل قطعة واحدة متماسكة.

ومن التعريفات الجامعة لمفهوم النص عند كل من د. سعد مصلوح ود. سعيد بحيري ود.إبراهيم الفقي ذلك التعريف الذي نقل عن روبرت دي بوجراند الذي يرى النصّ "أنّه حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوافر له سبعة معايير للنصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير". ومن باب أمن اللبس فإن حضور المعايير السبعة في النص الواحد سمة بارزة وحقيقة كبرى على أنه نصّ كامل، وهذا لا يعني أن انتفاء معيار أو أكثر يعني بالضرورة أنه ليس نصًّا حقيقيًا، بل هو نصّ ولكنه ناقص في مستواه الدلالي المعجمي والسبكي النحوي، وإن انتفت جلّ المعايير عن النص فإنه يخلو من دائرة النصوص إلى أن يكون ماثلا في دائرة اللانصوص، حتى يرفع عنه مفهوم النص حسب فهم النص عند علماء نحو النص.

1. السبك: ويسمى الربط النحوي أو التماسك (Cohesion)
2. الحبك: التماسك الدّلالي (Coherence)
3. القصد: وهو الهدف من إنشاء النص (Interntiona hity)
4. المقبولية: وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص (Acceptability)
5. الإخبارية: أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه(Informativity)
6. المقامية: وتتعلق بمناسبة النص للموقف (Situationalit)
7. التناص: يختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى [2] (Intertextuatity).

---

(1) عثمان، أبو زنيد، *نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية*، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م، ص30.

(2) الفقي، إبراهيم، *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*، ج1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص34.

يعلق الدكتور إبراهيم الفقي على تعريف دي بوجراند قائلًا: "فهذه المعايير تركز على طبيعة كل من النص ومستعملَيه (المتحدث والمتلقي) والسياق المحيط بالنص والمتحدثين، وهذا التعريف يجمع في طياته .. أغلب مفاهيم النص السابقة، ونميل إلى الأخذ بهذا التعريف الأخير، حيث إنه يراعي المتحدث أو المرسل والمستقبل، ويراعي كذلك السياق، وكذا يراعي النواحي الشكلية والدّلالية"(1)، فنجد في واقع الأمر أن تعريف دي بوجراند لمفهوم النص هو التعريف الوحيد الذي رسم حدود النص العلمية واصفًا إيّاها بالمعايير النصية السبعة التي تجعل النص في بوتقته الصحيحة، وبناء على تلك المعايير السبعة تفرز النصوص الحقيقية عن غيرها؛ لأن النّص كلما اشتمل على معاييره النصّية تشكّل بداخله التماسك الدلالي المفضي إلى الدلالة العميقة، وتمّ عبر ذلك الحدث التواصلي الذي هو صلب فحوى نظرية نحو النصّ. أما كلاوس برينكر فإنه نظر إلى النص باعتباره تتابعًا متماسكًا من علامات لغوية ، فيشير كلاوس برينكر هنا إلى فكرة أن يكون النص أشبه بالسلسة اللغوية المتماسكة على أن تمثل كل وحدة لغوية علامة دلالية عليها ، وثمّة رأي لكلاوس برينكر يوضح من خلاله أن الدارسين في تعريفهم لمفهوم النص كانوا ينطلقون من مبدأين أو أمرين هما(2):

الأمر الأول : يقوم على أساس النظام اللغوي، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي التحويلي حيث يظهر النص تتابعًا متماسكًا من الجمل.

الأمر الثاني: يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرّف النصّ بوصفه فعلًا لغويًا معقدًا، يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشىء علاقة تواصليه معينة مع القارىء والسامع، وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية. وهذان الأمران وجدناهما جليًا في التعريفات السابقة لمفهوم النصّ سواء عند العرب أو الغرب.

المبحث الثاني: المعايير النصية في بنية الجاحظ اللغويّة مقاربة إجرائية

المعيار الأول: السبك

له عدة معانٍ في اللغة؛ منها: "الحمل والجمع والضم، والانتظام والتمام والكمال، واتَّسق؛ أي: اجتمع، واتّسق الأمر؛ أي تمَّ وتكامل"(3) أما في الاصطلاح، "فهو قريب من الدلالة اللغوية؛ حيث نجد أنه تماسكٌ بين عناصر النص يَسمح بتلقِّي النص وفهمه، وذلك من خلال العديد من

(1) ينظر: الفقي، إبراهيم *علم اللغة النصي*، ج1، ص 34.

(2) برنكر، كلاوس، *التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج*، ترجمة د. سعيد بحيري، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2005م، ص30.

(3) القالي، أبو علي، *البارع في اللغة*، تحقيق: هشام الطعان، ط1، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975، ص 493

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 35 [2021], Iss. 10, Art. 4

العناصر اللغوية التي تحقق نصية النص، باعتباره وحدة لغوية مهيكلة، تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معينة"[(1)].

كما يحدد ـ سعد مصلوح ـ السبك بأنه يختص "بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النّص "Surface Text" ونعني بظاهر النص: الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات، ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًا إلا إذا تتحقق لها من وسائل السبك، ما يجعل النص محتفظًا بكينونته واستمراريته، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو"الاعتماد النحوي"[(2)] (Dependencyrammatical). وقد ذكر هاليداي ورقية حسن في كتابهما (Choesion in Einglish): "أن جزءًا من السبك يتحقق عبر النحو، وجزءًا آخر عبر المفردات، وعليه فقد أشاروا إلى أن السبك ينقسم إلى قسمين هما: السبك النحوي، والسبك المعجمي"[(3)]، وقد أضاف محمد خطابي "قسمًا ثالثًا هو السبك الصوتي وقد أفاده من توقف دي بوجراند أمام مصطلح التنغيم الذي عده من المحاور الصوتية الرئيسة لمصطلح السبك"[(4)]، ومن الشواهد التي تعد نموذجًا لمعيار السبك طرفٌ شتّى[(5)]:

قال ابن حسان: كان عندنا رجل مقّل، وكان له أخ مكثر، وكان مفرط البخل، شديد النفج[(6)]. فقال له يومًا أخوه: "ويحك أنا فقير معيل، وأنت غني خفيف الظهر لا تعينني على الزمان، ولا تواسيني ببعض مالك، ولا تتفرّج لي عن شيء! والله ما رأيت قط، ولا سمعت، بأبخل منك". قال: "ويحك ! ليس الأمر كما تظنّ، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليُسر. والله لو ملكت ألف درهم لو هبتُ لك منها خمس مائة ألف درهم. يا هؤلاء فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل؟".

هذا النص يدور بين رجل وأخيه، وكيف يلقي الأخ المقلّ اللوم والعتاب على أخيه المكثر، وكيف يخرجُ الأخ المكثر نفسه من شباك اللوم والعتاب بطريقة تمتاز بالذكاء والسهولة، وكلّ ذلك يصير على شكل سلسلة لغوية أو متتالية لغوية يحكمها نسق من الوسائل والأدوات السبكية النحوية

(1) الصبيحي، محمد الأخضر، *مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه*، ط1، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008، ص 80

(2) مصلوح، سعد، *نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصدية جاهلية*، بحث منشور في فصول، م10، العددان 1، 2 تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، 1991م، ص154.

(3) عبد المجيد، جمال، *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 77.

(4) فرج، أحمد حسام، *نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص 83، 116.

(5) الجاحظ، عمرو بن بحر، *البخلاء*، ضبط وتحقيق، د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2015م، ص178.

(6) شديد النفج: نفج الإنسان: فخر بما ليس عنده. ينظر: الجاحظ، *البخلاء*، تحقيق د. يوسف الصميلي، ص 178.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

بحيث يخرج الكلام على شكل نصّ مسبوك نحويًا، وقطعة متماسكة على مستوى الدلالة والمفهوم. وفيما يأتي سرد لتلك الوسائل التي تؤدي وظيفة الاتصال والترابط بين السابق واللاحق من الألفاظ.

أولًا: الإحالة

وقد تمت عبر الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة التي وزعت في المقطوعة الكلامية السابقة، وجعلت النص مشدود الأواصر عبر الإحالات العديدة، منها ما هو داخل النص ومنها ما يكون خارج النص، وتكمن وظيفتها في الربط والوصل مع الألفاظ السابقة عبر الإحالة إليها. فالإحالة النصية تتم "بواسطة الضمائر وأسماء الإشارة، والاسم الموصول، وهذه الإحالة تتفرع إلى: إحالة قبلية، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه وهي الأكثر شيوعًا. وإحالة بعدية، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه"[(1)]، وقد وصفت الإحالة عند نعمان بوقرة "بالعلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات وهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى لفظة متقدمة عليها، أو متأخرة عنها، والعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل"[(2)].

وقد تجسدت الضمائر في النص متصلة ومنفصلة حسب ما يلي

عندنا: الضمير أحال إلى ابن حسّان وارتبط به إحالة نصية اتساقية داخل النص. **له:** الضمير هنا أحال إلى الرجل المقلّ إحالة نصية قبلية وارتبط به، فالجملتان في بداية القصة ارتبطتا مع بعضهما عبر الضمائر التي تحيل إلى الأسماء، وتتصل بها. **له:** الضمير هنا أحال إلى الرجل المكثر إحالة قبلية نصيّة. **أخوه:** أحال إلى الرجل المقلّ، فنلاحظ ضمائر الغائب هنا تعمل على ربط الجمل مع بعضها على شكل سلسلة لغوية متماسكة. **ويحك**: ضمير المخاطب يحيل إلى الرجل المكثر. **أنا**: الضمير المنفصل هنا يحيل إلى الرجل المقلّ وعمل الاقتصار في ذكر المسمّيات لتجنب التكرار الممل. **أنت**: ضمير المخاطب هنا يحيل الرجل المكثر. **تعينني**: ياء المتكلم هنا ضمير متصل تحيل إحالة قبلية إلى الرجل المقلّ فهو يعاني القسوة والفقر والألم. **تواسيني**: إحالة قبلية نصيّة إلى الرجل المقلّ. **مالك**: إحالة قبلية نصيّة إلى الرجل المكثر.**لي**: إحالة قبلية نصيّة إلى الرجل المقلّ. **رأيتُ/ سمعتُ**: ضمير المتحرك هنا يحيل إحالة نصيّة قبلية إلى الرجل المقلّ .**منك**: يحيل إلى الرجل المكثر إحالة نصيّة قبلية. **ويحك**: يحيل إلى الرجل المقلّ. **أنا**: يحيل إلى الرجل المكثر إحالة نصيّة قبلية اتساقية ومن الطرفة أن يذكر ضمير المتكلم أنا مرتين فقط، مرّة يحيل إلى الرجل المقلّ وفي الثانية يحيل إلى الرجل المكثر . **ملكتُ / وهبتُ**: ضميرا الرفع هنا يحيلان إحالة قبلية نصيّة إلى الرجل المكثر. **لك**: يحيل إلى الرجل المقلّ أيضًا إحالة قبلية نصيّة. **منها**: ضمير الغائبة المفردة هنا يحيل إحالة قبلية نصيّة إلى ألف ألف درهم. **له**: يحيل إحالة قبلية نصيّة إلى الرجل المكثر.

(1) خطابي، محمد، *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*، ط2، المكز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 17.

(2) بوقرة، نعمان، *المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب*، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م، ص 81 – 82.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 35 [2021], Iss. 10, Art. 4

يتكرر الضمير هنا إحدى وعشرين مرة موزعًا على هذا الشكل خمسة ضمائر للغائب، ستة ضمائر مخاطب،عشرة ضمائر المتكلم، وتعمل تلك الضمائر مع بعضها البعض على تماسك النص وسبكه نحويًا، وإخراجه قطعة كلامية واحدة، رغم اختلاف دلالات تلك الضمائر، فرأيناها تحيل **إلى ثلاثة أشياء:**

1- الرجل المقلّ. 2- الرجل المكثر. 3- الدراهم.

مما أدّى ذلك إلى فهم فحوى الموضوع بشكل متواصل دون انقطاع بين مفردات النص، فرأينا تماسك ألفاظ النص عبر ضمائره المتنوعة دلاليًا أفضت إلى فهم متين لطبيعة القصة، كما رأينا أسلوب الإقناع واضحًا في البنية الخطابية الجاحظية؛ إذ يقدُّم كل من الرجل المكثر آراءه التي تختلج العقل، وتجعله حائرًا في مضامينها، ومن الإقناع الذي أشعل نار الخطاب بينهما هو مقدرة الرجل المكثر على بيان أن المسألة لا تبتّ لفكرة كرم وبخل، بل إنها متعلقة بمقام الحال، وأنه في الوقت الراهن لايمتلك ما يعينه على قوت يومه، ومن كان حاله كما أُسلِف فكيف يتسنى له إعانة غيره، هذه الرسالة المطولة مضمون عبارة (والله لو ملكت ألف درهم لوهبتُ لك منها خمس مائة ألف درهم يا هؤلاء فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل؟). حتى أنه رغب في تشهيد من حضر من الناس؛ لإثبات حجاجه، وإقناعه أخاه دون ردّه متخذًا موقفًا صاخبًا من أخيه المكثر.

ويسبك النص أيضًا من خلال أسماء الإشارة، فعبرها تمت الإحالة إلى مفردات متنوعة في النص. فيسبك النص حينها نحويًا ودلاليًا، وفي نصّنا السابق الذكر لم يحظ إلا باسم إشارة واحد وهو (هؤلاء) ويحيل إحالة خارجية مقامية إلى الأشخاص الذي يتوقع أنهم سمعوا الحوار بين الأخوين. ولقد تميّز اسم الإشارة هنا بالفردّية، وجاء من باب لفت الانتباه إلى أحداث القصة التي دارت بينه وبين أخيه، ويظهر نفسه محقًّا على حساب أخيه المقلّ ولو بالباطل. فاسم الإشارة هنا يعمل على سبك النص من باب إحالته إلى مفردات مقامية خارجية، تعمل على سبك داخل النص بخارجه الفضائي، ومما يزيد الانتباه دقةً أن وسيلة السبك الفريدة (هؤلاء) تشمل جلّ الحاضرين في المجلس، مما يستخلص من ذلك أن الرجل المكثر يقبل بتشهيد أي شخص في مجلسه حتى لو كان غير عاقل أو منصف؛ لتبرئة نفسه من شح البخلاء، وإن كان الأخ المقل قد أخفق حجاجيًا بعدما أوصل أخيه المكثر إلى ذروة الإقناع والتأثير، فقبول الأخ المقل بكلام أخيه دليل على إقناعه مباشرة، وهذا يشير إلى أن المقل ليس على درجة من الإفهام والإقناع، وهذا الشيء أعان على رصد عبارة الحجاج الوحيدة في النادرة السابقة، وإنهاء فحوى النقاش بينهما. ولم يأت في القصة أسماء وصل؛ ربما لأنها أشبعت من جانب الضمائر وإحالاتها. وهذا لا يعني خلو النادرة السابقة من الموصول فثمة موصولات حرفية مثل (أن وكي وما ولو) وقد برز الموصول الحرفي(كما) في النادرة؛ ليربط السابق باللاحق كما جاء: (ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر)، وهذا الموصول هو اسم بمعنى الذي وهو أشبه بحلقة وصل بين السابق واللاحق إذ يعمل على سبك النص نحويا؛ لتثبيت معناه في نفس المتلقي، فبعد أن أكثر الأخ المقل من اللوم والعتاب على أخيه المكثر قام الأخ بتفنيد أقوال أخيه المقل، معتمدا على الموصول الحرفي الاسمي المسبوق بكاف التشبيهية؛ لبيان أن صورة الغنى التي التصقت في ذهن

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

أخيه ليست حقيقية وهي أشبه بالخيال أو التمثيل، فليس الأمر كما تظن هنا وصل موضوع الغنى واليسر بالظنية، أي التوهم وعدم الصحة، ولا المال كما تحسب هنا وصل وربط بأن المال الذي يتوقعه المقل ليس يعتمد على حسابه وتفكيره، ولا أنا كما تقول هنا أيضا وصل بين شخصية المكثر وقول المقل فبينهما تنافر وعدم توافق، فعمل الأخ المكثر على تبرئة نفسه من البخل عبر الاسم الموصول الحرفي كما، فزاد من قناعة أخيه بسلامة نفسه من البخل،وأنه ليس ميسورًا كما يُظن. وهذا من حيلة المكثر وفكره العميق.

ثانيا: الاستبدال

الاستبدال في حقيقته علاقة من التقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد، أي أننا نركز على عنصر لغوي في النص معتمدين على آخر متروك لهذا من يعرف الاستبدال يسمه: "بالعملية التي تتم داخل النص، وأنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"(1). فالعنصران جليان في النص وبينهما صورة تقابلية تقتضي وجود عنصر متروك داخل النص؛ لتحديد عنصر مقابله؛ حتى يكون الترك ذا معنى دلالي بارز، كما يرى الباحث الفرق المتمثل بين وسيلتي الحبك: الإحالة والاستبدال كبيرًا، إذ تقترن الإحالة بعنصري المحيل والمحال إليه، والاستبدال ترك أحد العنصرين؛ التحديد والاستبعاد. وعبر الشاهد الذي سقناه سيتبين للقارئ نوع الاختلاف بينهما. ويجب التنويه على أنّ الاستبدال التقابلي يمثل شكلًا من أشكال الاستبدال المحدد المتمثل في تحديد عنصر لغوي وترك آخر، بل هو من بلاغة الخطاب العميق، وقد تمثل الاستبدال التقابلي في الشاهد السابق نفسه على هذا المنحى:

(كان عندنا رجل مقلّ، وكان له أخٌ مكثر) في هذه العبارة يحدث عندنا شكل من التقابل وهو نوع من الاستبدال، فأنت تستبدل القليل بالكثير أو بالعكس حسب الغرض المنشود، فرجل مقلّ وآخر مكثر صورتان متقابلتان جعلتا النص يقيم صلبه عليهما من حيث الأدوار والفكرة العامة والموضوع، والأصل في الاستبدال ترك عنصر لأجل آخر، ولكنه قد يأتي على شكل تقابل لبيان مساوىء البخيل وبخله، وحرصه المفرط على المال، فتكتمل الصورة تجليًا في ذهن المتلقي بسبب هذا التقابل؛ لأنه سوف يظل يقارن بين الصورتين من جانبيهما (السلبي والإيجابي)، والتقابل يفضي إلى المقارنة، والأخيرة تفضي إلى الحكم، وهذا مما يحقق التفاعل للمتلقي؛ إذ يبدأ عبر الصور المتقابلة من إطلاق الأحكام بناء على اعتباره شريكًا في النص، وهذا مما دفع بالباحث إلى انتقاد الأخ المقل باستسلامه لعبارة أخيه المكثر، إذن يعمل الاستبدال بشكل أو بآخر على شد النصّ وسبكه وربطه فكريًا منطقيًا. وقوله **(ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر)** البخل يقابله اليسر، فاستبدالك لعنصر يعني حلول الآخر مكانه؛ فإنّ الأشياء تدرك بمتناقضاتها، فالرجل المكثر يريد أن يجعل الموضوع ليس على مستوى البخل أو اليسر بقدر جعله حقيقية، فهو يريد أن يخبر أخاه بأنه ليس قادرًا على مساعدته، ففي هذه الحالة سوف يتساوى المتفارقان في نظر الرجل المقلّ، و يعود المتلقي إلى بدايات القصة؛ ليراجع الحوار من جديد لمعرفة حقيقة بخل الرجل المكثر، وهل هو يعمل جاهدًا على عدم مساعدة أخيه، أم أنه فعلًا لا يقتدر على ذلك فنلحظ أن عملية الاستبدال

(1) ينظر: خطابي، محمد، *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*، ص19، نقلا عن: Choesien in Einglish

تلك ولّدت دلالة منطقية جعلت النص في حالة سبك وقوة. وقوله **(يا هؤلاء رجل يهب ضربة واحدة خمسة مائة ألف يقال له بخيل)** انتهت القصة بمفارقة أحدثها الرجل المكثر حتى لا يتهم أو يوسم بالبخل، وكانت نهاية منطقية على مستوى حدود الجملة الأخيرة، ولكن عند ربطها بأحداث القصة تكاد تخلو منها، لأنّ المتصدق لا يحدد أو يخبر بحيثيات صدقاته فلو تصدق على أخيه المقلّ بالقليل ما ضرّه ذلك، ولقد توصلنا إلى آخره مفهومين عبر المفارقة التي أحدثها، إذن كانت عامل سبك وربط حقيقة.

ثالثا: الحذف

الجاحظ يحسن مواطن الحذف؛ لكي يبدع متلقي النص بقدح زناد عقله ليتوصل إلى المحذوف عبر مقامه وسياقه، فجّل المحذوفات مرتبطة بألفاظ داخل النص، ومقترنة بها؛ فالعلاقة بين المحذوف وما سبقه من لفظ علاقة اتساقيّة، وهذا بحاله يعمل على سبك النص وشدّ أواصره وربطه بعلائقه الخارجية. وتكمن أهمية الحذف "من حيث أنه لا يورد المتوقع من الألفاظ، ومن ثَم يفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر بما هو مقصور"[(1)]. وهنا يجب التنويه أن الحذف لا يعني الاستبدال، وإن كان البعض يطلق عليه مصطلح الاستبدال الصفري، أي أنه استبدال للكلام المكتوب بكلام آخر محذوف، لا يقابله عنصر لغوي كما هو الحال في الاستبدال، يدل عليه سياق الجملة ويرتبط به ارتباطًا وثيقًا. ونجمل الحذف الذي حظي به هذا النص على هذه الصورة:

1. لا تعينني على الزمان **(ببعض مالك أو مساعدتك)**.
2. ولا تواسيني **(من ألمي وفقري)** ببعض مالك.
3. ولا تتفرّج لي عن شيء **(أعاني منه، أو أتألم)**.
4. ولله ما رأيت **(من البشر)** قط
5. ولا سمعت **(عن البشر)** بأجل منك.
6. ويحك ليس الأمر كما تظن **(من اعتقادك اتجاهي)**.
7. ولا المال كما تحسب **(بأنه كثير، ولا نفاد له)**.
8. ولا أنا كما تقول في البخل **(أني بخيل)** ولا في اليسر **(أني موسر)**.

فمواطن الحذف جعلت النص متسقًا وذا علائق مع فضائه الخارجي، كما جعلته مسبوكًا سبكًا نحويًا متينًا. ويتكلل هذا الاتساق عندما يحسن الأديب الفذ موطن الحذف، فبنية المحذوف تجعل القارئ الجيّد يقدّر من الكلام ما يناسب هذا الحذف، فأنت عندما تسمع شيئا من شواهد الحذف مثل: (ولا المال كما تحسب) فإنه يقع في نفسك عدم يسر الأخ المكثر مما يجعلك تعيد أحداث القصة كاملة؛ لإثبات صحة ذلك أونفيه، فيعمل الحذف على الحكم إن تمكن القارئ من ضبط موطنه

(1) ينظر: المرجع السابق: *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*، الصفحة نفسها.

الدقيق. وبالتالي تتحقق مسألة سبك النص ذهنيًا في عقل المتلقي عبر تلك الإعادة. والسؤال المطروح هل تمكن الأخ المقل من تقدير مواطن الحذف؟ فإن كان الجواب (نعم) فلمَ بقي ساكتًا؟ هل لأنّ الفقر تغشى على عينه وقلبه وعقله، أم أنّ كلام أخيه صيره محرجا أمام الحاضرين؟.

رابعًا: الوصل

وهو من أشهر أدوات السبك النحوية، ويعمل على سبك النص وتلاحمه بشكل بارز، وهو علامة حقيقية على شرعيّة النص أو الخطاب، وأنه ليس كلامًا غير نصّي، ويتجلى أمامنا عبر بعض الحروف مثل: الواو، أو، لكن، لأنّ وغيرها لكن عنصر الواو هو البارز في الطرفة السابقة، فمطلق الجمع عبر حرف العطف الواو الذي يعمل على الجمع والمشاركة في الأحكام، والذي يسبك ما قبله وما بعده بشكل جملة واحدة، فهذا الحرف قادر على دمج مفردات مع بعضها البعض فأنت تقول: جاء خالدٌ وزيدٌ . فتجمع بين لفظين وتشاركهما في عملية المجيء، فذكرك حرف العطف هنا أغناك عن تكرار الفعل جاء مرّة ثانية، فالحرف هنا يجعل الجملتين جملة واحدة نصيّة. فالوصل "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[(1)] وقد ورد ذكره كثيرًا هنا: (كان عندنا رجل مقلّ) و (كان له أخ مكثر) و (كان مفرط البخل) ثلاث جمل مستقلة عن بعضها، رُبطت ربطًا سبكيًا نحويًا عبر حرف العطف الواو، مما أفضى إلى عطف الجمل الثلاث في جملة دلالية واحدة مضمونها ماثل في اثنين من الأخوة وواحد منهما مفرط في البخل. وكذلك في (لا تعينني على الزمان) و(تواسيني ببعض مالك) و (تتفرج لي عن شيء) كذلك الأمر هنا ثلاث جمل مستقلة من ناحية المفهوم والدلالة، ولكن عند عطفها وربطها مع بعضها بعضًا عبر عطف النسق الواو صارت الجملة واحدة تحمل معنى دلاليًا واحدًا وهو عدم إكتراث الأخ المكثر بحال أخيه المعسر المتألم. ومثل ذلك (ويحك ليس الأمر كما تظن) و (لا المال كما تحسب) و (لا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر). ثلاث جمل مستقلة نحويًا ودلاليًا، وكل جملة تعطي مفهومًا دلاليًا خاصًا، غير أن هذه الجمل الثلاثة قد ضمّت مع بعضها، ودمجت بأفكارها فصارت جملة نصيّة واحدة بمعنى دلالي واحد، وهو أن كل ما يعتقده الأخ المقلّ اتجاه أخيه المكثر خاطىء وغير سليم.

فنستطيع القول لو كان النصّ بين أيدينا يشمل تشعب جمل محوريّة فكريّة وكل جملة تحمل معنى دلاليًا خاصًا، وكان لكل ثلاثة منها الفكرة ذاتها أو المعنى تقريبًا نفسه، و دمجت تلك الجمل مع بعضها عبر حرف العطف الواو فإنها سوف تحمل المعنى نفسه؛ لأنك لا تعطف على المختلف في المفهوم العام، بل تعطف على الفكرة نفسها. فإن طّبقت ذلك مثلًا على كلّ ثلاثة جمل كما حصل بالشاهد معنا ، فإنك تكون قد جعلت النص كلّه يحمل الفكرة ذاتها، لأن أي نصّ هدفه بلوغ مراده ومعالجة قضيته، فيجيء حرف العطف الواو ليدمج جميع الجمل مع بعضها في الفكرة ذاتها، فيخرج النص متماسكًا نحويًا ودلاليًا. كما يرى الباحث أن وسيلة السبك النحوية (الوصل) خلقت من الرحم القوة والإثبات أي بمعنى أن الجملة بمفردها غير كفيلة أو منوطة ببلوغ بغية التأثير في

(1) ينظر: خطابي، محمد، *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*، ص 23. نقلا عن: cohesion in English: p.227

الطرف الآخر، مما يستدعي جملًا أخرى فيها من المعنى ما يتوافق مع سابقها عبر أداة الربط الواو. ومثاله (ألا تعينني على الزمان) و (تواسيني ببعض مالك). فترى أن الجملة الأولى تشدّ فكرتها بالجملة الثانية، كما أن الجملة الثانية تنبثق من الأولى على شكل أكثر تفسيرا وبيانا، وكلاهما يسفر عن قسوة الحياة التي يكابدها الأخ المقل.

المعيار الثاني: الحبك

فهو عند روبرت دي بوجراند "يقوم على الترابط الفكري أو المفهومي، الذي تحققه البنية العميقة للخطاب، وتظهر هنا عناصر منطقية، مثل: السببية والنتيجة والعموم والخصوص وغيرها، وهي تعمل على تنظيم الأحداث والوقائع داخل بنية الخطاب"[(1)]. وقد عبر عنه "كرايس بالترابط، وبراون بالتماسك المعنوي، وشارول بالتعالق"[(2)]، كما يحدد سعد مصلوح الحبك في قوله: "وأما الحبك (Coherence) فيختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (Textuawonld) ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم (Concepts)، والعلاقات (Rehatious)، الرابطة بين هذه المفاهيم"[(3)]، ومن الشواهد على هذا المعيار **قصة أبي سعيد المدائني**[(4)]

كان أبو سعيد المدائني إمامًا في البخل عندنا بالبصرة، وكان من كبار [(5)] المعيّنيين ومياسيرهم، وكان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجّة بعيد الرّويّة. وكنت أتعجّ من تفسير أصحابنا لقول العرب في لؤم اللئيم الراضع، قال أصحابنا: كلّ لئيم بخيل، وليس كلّ بخيل لئيمًا؛ لأن اسم اللئيم يقع على البخل، وعلى قلّة الشكر، وعلى مهانة النفس، وعلى أنّ له في ذلك عرقا متقدّما قال أبو زيد: هو لئيم وملأم، فاللئيم ما فسرت، والملأم الذي يقوم بعذر اللئيم، فأما اللئيم الراضع، فالذي لا يحلب في الأناء، ويرضع من الخلف، مخافة أن يضيع من اللبن شيء. قال ثوب بن شحمة[(6)] العنبريّ في امرأته الهمدانية:

وحديثُ مالجةَ التي حدثتني تدعُ الإناءَ تشرُّبًا للقادمِ

---

(1) مداس، أحمد، *لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري*، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2007م، ص 83.

(2) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(3) مصلوح، سعد، *نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية*، بحث منشور في فصول، م10، ع 1، 2، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، 1991م، ص 154.

(4) الجاحظ، عمرو بن بحر، *البخلاء*، ضبط وتحقيق، د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2015م، ص 125.

(5) ***المعينون***: من العينة وهي نوع من المعاملات المالية شبيهة بالربا، كما تطلق على السلف. وكان المهلب بن أبي صفرة يقول: إياك والعينة فإنها لعينة. ينظر: الجاحظ، **البخلاء**، تحقيق، د. يوسف الصميلي، ص 125.

(6) *ثوب بن شحمة العنبري*: جاهلي عاصر حاتم الطائي، وكان يلقب بمجير الطير، فلا يثار ولا يصاد بأرضه. ينظر: الجاحظ، *البخلاء*، تحقيق، د. يوسف الصميلي، ص 125.

(القادمان: الخلفان[1] المقدَّمان) فلما بلغه ذلك عنها طلقها، فلمّا طلقها قيل له: إنّ البخل إنما يعيب الرجل، ومتى سمعت بامراة هُجيت في البخل؟ قال: ليس ذلك بي. أخاف أن تلد لي مثلها.

العلاقة البارزة في القصة السابقة هي علاقة الإجمال قبل التفصيل، وكذلك علاقة السبب والنتيجة وعلاقة الشرط والجواب، وتمّ ذلك عبر القصة إذ جاء في قوله: (كلّ لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيمًا) فهذه عبارة فيها إجمال واضح وهي بحاجة إلى تفسير أو تفصيل أو تخصيص وجاء التفصيل على هذا النحو: (أن اسم اللئيم يقع على البخل، وعلى قلة الشكر، وعلى مهانة النفس، وعلى أنّه له في ذلك عرقًا متقدّمًا). فنحن أمام أربع جمل توضيحية وتفسيرية للعبارة الأولى الإجمالية (كلّ لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيمً. (فاللؤم يقتضي البخل، وهو أوسع وأشمل من مصطلح (البخل) وكما أنّه أشدّ ذمًّا وتحقيرًا من البخل، فاللئيم يكون بخيلًا لحدّ بعيد، ولا يشكرُ الناس إلا قليلًا، ويهين نفسه والآخرين، وفيه عرق من البخل وصفات البخيل، فالتفصيل والتفسير الذي نحن بصدده جاء لبيان أنّ اللؤم يستصحب البخل، وليس العكس، فعبر تلك العلاقة نشأ الحبك بين جملة الإجمال وجمل التفصيل لدرجة أنك لا تستطيع فكاكهما عن بعضهما، فلقد جاءت أربع جمل أو خمسة لتفسير جملة أو عبارة واحدة، وهذا يعني نشوء علاقة حقيقية بينهما، وأنّ الأفكار تضافرت مع بعضها لخدمة جملة الإجمال، وإثبات أن اللؤم سبب البخل وغيره، فمن هنا حدث الترابط الفكري المعنوي لخدمة الدلالة وتوضيح المقصود، وكذلك جملة (والملأم) تعتبر جملة إجمال على قلتها؛ لأنها متبوعة بجملة صلة الموصول التي جاءت بمثابة تفسير وتخصيص لمصطلح (الملأم) وهي: (الذي يقوم بعذر اللئيم) فلو اعتبرنا أن جملة (الملأم) مستقلة بذاتها كمصطلح، وجملة (الذي يقوم بعذر اللئيم) كجملة تفسيرية للمصطلح السابق، لتعالقت الجملتان مع بعضهما وأصبحتا جملة واحدة محبوكة بحكم العلاقة بينهما، فالعلاقة هنا عملت على ربطهما وجعلهما في حكم المصاحبة المعنوية كزوج معنوي ترابطيّ.

وكذلك جملة: **(فأما اللئيم الراضع)** تعتبر في نظر الدراسات اللسانية اللغوية الحديثة جملة إجمال وليس تفصيلًا؛ لأنك لا تعلم معناها المحدد إلا بعد أن يأتي وراءها جملة توضيحية تفصيلة وهي هنا: **(فالذي لايحلب في الأناء، ويرضع من الخلف، مخافة أن يضيع من اللبن شيئًا)** فأنت أمام جملتين تفسيريتين لمصطلح اللئيم الراضع وهي جملة واحدة، فتشاركت الأفكار في جملتي التفسير هنا لخدمة مصطلح اللئيم الراضع وبيان المقصود منه، مع العلم أن جملة الإجمال **(وأما اللئيم الراضع)** تعتبر جملة مستقلة غير أنها مرتبطة بما لحقها من أخواتها؛ لإسنادها وبيان المقصود منها، وكل ذلك تمّ عبر علاقة الإجمال والتفصيل التي تظهر الجم المتفرقة للوهلة الأولى جملًا غير متراصةٍ ومحبوكةٍ، وكيف تنشأ العلاقة بين الألفاظ بصورة صحيحة، فمثلًا **(الراضع)** يقوم بعملية **(الحلب)**، ويقوم أيضًا (بالرضاعة) فهو **(يرضع)**، فمن شأن الجمل التفسيرية إشراك جملة الأساس عبر العلاقات بطبيعة الألفاظ في جمل التفصيل كما شاهدنا بين الراضع والحلب ويرضع وغيرها، فنحن أمام شبكة من العلاقات تربط بين الألفاظ من ناحية صغرى وبين الجمل من ناحية كبرى عميقة.

---

(1) *الخلفان*: مثنى الخلف وهو الضرع.

كما تظهر هنا علاقة السبب والنتيجة، وهي علاقة قد تضمنتها علاقة الإجمال والتفصيل، فالعلاقات تتشارك وتتداخل فيما بينها؛ لتظهر الجمل عبرها محبوكة ومتراصة وقريبة من ذهن المتلقي ليندمج فيها، ولقد ظهرت علاقة السبب والنتيجة في قوله: **(فالذي لا يحلب في الإناء، ويرضع من الخلف، مخافة أن يضيع من اللبن شيئًا)**، ففي العبارة السابقة ثمّة سببان لنتيجة واحدة، فالسببان عبارة عن جملتين وبينهما علاقة منطقية مبنية على الصواب، فبسبب أنه لا يحلب في الأناء، ويرضع من الخلف، نتج عن ذلك ألا يضيع من اللبن شيئًا، فجملتا السبب مرتبطتان فكريًا مع جملة النتيجة؛ مما أفضى على الجمل الثلاث سمة النصيّة؛ لوجود علاقتين متداخلتين فيهنّ، فالعبارة التي نحن بصددها هي جملة تفصيل وتفسير لعبارة **(فأما اللئيم الراضع)**، وفي الوقت نفسه اشتملت جملة التفسير على علاقة السبب والنتيجة كما أظهرنا ذلك وكلّ ذلك يخدم المتلقي؛ لأن العبارات المبنية على علاقات منطقية تجعل المتلقي متفاعلًا مع النص وجزءًا حقيقيًا منه؛ لأنه مشارك فيه.

وكذلك تمتدّ علاقة السبب والنتيجة في قصة ثوب بن شحمة العنبري في عبارة (**أخاف أن تلد لي مثلها)** ، فبناءً على هذه الفكرة تمّ نشوء نصًّ حواريّ عماده علاقة السبب والنتيجة، مما جعل النص في حالة حبك وترابط مفهومي واضح، تجعل المتلقي متفاعلًا مع أحداث القصة ومتأثرًا بها. فبسبب خوف الزوج المفرط من إنجاب زوجته له طفلًا مثيلًا بأمه (مفرط في العطاء)، كانت النتيجة طلاق الزوجة، مع العلم أن البخل لا يعيب امرأة أو طفلًا بقدر إعابته للرجل. فالنص السابق كان في مقام الحبك ومخاطبة المتلقي بشكل تأثري واضح، فلقد عمد على علاقات التفصيل والاجمال والسبب والنتيجة، وربما علاقة الشرط والجواب ولكن من ناحية المعنى، فلقد عملت تلك العلاقات على بناء النص النثري بصورة فنية، سمحت للمتلقي الاندماج في أحداث القصة والتأثر بها، وكيف كانت ألفاظها تتعالق وتتصاحب بصورة منطقية على مستوى السياق، وكيف كان هذا التعالق مرتبطًا بالصورة العامة والدلالة العليا للنص النثري السابق، كل ذلك نتاج تلك العلاقات الدلالية المنطقية، وثمة علاقات أخرى مثل: العلاقة الثنائية التقابلية، والعلاقة الثنائية الإبدالية، وعلاقة الإضافة المتكافئة وغيرها، غير أنها كانت حاضرة في شواهد أخرى من قصص البخلاء.

المعيار الثالث: القصدية

من المعايير الجوهرية التي تتعلق بمنتج النص، وقد جاء هذا المعيار عند ربورت ودريسلر على أنه "شرط أساس لكل نوع من أنواع التواصل، ويتعلق بموقف منتج النص الذي يريد أن يبني نصًّا مترابطًا متماسكًا؛ لتحقيق قصد منتجه أي ليقدم معرفة أو تحقيق هدف يطرح في إطار خطة أو تخطيط ما"[1]. فالقصدية تتعلق بصورة قوية مع معياري السبك والحبك؛ لأنهما الوسيلة الوحيدة التي تجعل النص مقبولًا في ذهن المتلقي، فإن أراد أو قصد منتج النص المتلقيَ عبر أفكاره فعليه

(1) بحيري، سعيد حسن، *اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، علامات في النقد*، م10، ج 38، النادي الأدبي الثقافي، جدة،، 2000م، ص 176.

أن يسبك نصه نحويًا ويحبكه معجميًا. لهذا جاء في(اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص) أن معيار القصدية يتعلق بأمرين ضروريين:[1]

الأول: الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعياري الربط والتماسك، إذ يمكن المحافظة على هذين المعيارين بدرجة ما، من خلال إعادة صياغة لتحقيق أهداف نصيّة متغايرة.

الثاني: ضرورة محافظة منتج النص عليهما تتضمن حرصه على دوام التواصل ورغبته في إيصال إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن تنقطع نهائيا آخر الأمر. ومن الشواهد على معيار القصدية **قصة ابنِ العَقدي**[2]

"كان ابن العقدي ربمّا استزار أصحابه إلى البستان، وكتب لا أظنّه ممن يحتمل قلبُه ذلك على كل حال. فسألت ذات يوم بعض زوّاره فقلت: "أحك لي أمركم". قال: "وتسترُ عليّ "قلتُ" نعم ما دمتُ بالبصرة". قال: "يشتري لنا أرزًا بقشره ويحمله معه، ليس معه شيءٌ مما خلق الله إلا ذلك الأرز فإذا صرنا إلى أرضه، كلّف أكاره[3] أن يجشّه[4] في مجشّة له، ثمّ ذرّاه، ثمّ غربله. ثمّ جشّ الواشّ[5] منه. فإذا فرغ من الشراء والحمل، ثمّ من الجشّ، ثمّ من التذرية ثمّ من الإدارة والغربلة، ثمّ من جشّي الواشّي، ثمّ من تذريته، ثمّ من إدارته وغربلته، كلّف الأكّار أن يطحنه على ثوره وفي رحاه. فإذا طحنه كلّفه أن يغلي له الماء، وأن يحتطب له، ثمّ يكلّفه العجن، لأنه بالماء الحارّ أكثر نزلا[6] . ثمّ كلّف الأكّار أن يخبزه. وقبل ذلك ما قد كلّفهم أن ينصبوا له الشصوص[7] للسمك ويسكّروا الدرياجة[8] على صغار السمك لا يدخلوا في السواقي فيدخلو أيديهم في حجرة الشلابي والرمان[9]. فإن أصبنا من السمك شيئًا، جعله كبابًا على نار الخبز تحت الطابق، حتّى لا يحتاج من الحطب إلى كثير. فلا نزال منذُ غدوة إلى الليل في كدّ وجوع وانتظار. ثمّ لا يكون عشاؤنا إلا خبزَ أرزٍّ أسود غير منخول بالشلابي ولو قدر على ذلك فعل". قلت له: "فلم لا يتخذُ موضع مرازّ[10] من بعض رقاق أرضه، فيبذر لكم الأرزّ ثمّ يكون الخيار في يده، إن أراد أن يعجّل عليكم الطعام أطعمكم الفرد، أو إن أحبّ أن يتأنى ليطعمكم الجوهريّ ...." قال: والله لئن سمع هذا وعرفه ليتكلّفنه. الله الله فينا، فإنّا قوم مساكين، ولو قدرنا على شيء لم نحتمل هذا البلاء".

(1) ينظر: بحيري، سعيد، *اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص*، ص 176.
(3) ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، *البخلاء*، ص 118- 119.
(3) *أكّاره*: الأكّار: الأجير أو العامل.
(4) يجشه: يدقه ويكسره.
(5) *الواش*: الأرز الصحيح الذي ينقلب من أن تصيبه الرحا ويخرج سليما منيعا
(6) *أكثر نزلًا* : النزل: في الأصل ربع ما يزرع، والمراد هنا إظهار كثرة الأرز بالماء الحار
(7) *الشصوص*: مفردها شص، والشص حديدة عقفاء يصاد بها السمك (الصنارة).
(8) *الدرياجة*: البحيرة الفارسية والمراد هنا القسم من الماء المحصور بين الشاطئ والبحر، وهو سد يضعه الصيادون ليسهل عليهم صيد السمك بعد أن يحصروه.
(9) *الشلابي والرمان*: من أصناف السمك.
(10) *مراز*: موضع نبات الأرز.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 35 [2021], Iss. 10, Art. 4

تبدأ القصدية السابقة عبر روابط محددة تتجلّى بداية في أفعال الكلام الإنجازية، وفحوى هذه النظرية تتمثل بتحويل الكلام إلى أفعال، وفي الحقيقة إنّ قصة ابن العقدي قامت على مجموعة من أفعالٍ تستوجب إنجازات مباشرة أو غير مباشرة، ما يجعل القصة في أجواء وظلال قصدية يتشارك عبرها المنتج والمتلقي. ففي بداية القصة ترى الفعل **(استزار)** هو فعل كلامي إنجازي إذ فيه طلب الزيارة إلى البستان، فأحداث القصة كلّها لم تقع إلا بعد إنجاز الفعل الكلامي استزار الذي تحوّل إلى فعل إنجازي غير مباشر، فالفعل كفعل كلامي مباشر قد اسلتزم فعلًا كلاميًا غير مباشر، وهو وضع زوّاره في جوع وتعب ومشقة طوال النهار. وعبارة **(وكنت لا أظنّه ممن يحتمل قلبه ذلك على حال)** الفعل الوجداني **(لا أظنّه)** خرج عن مدلوله المباشر وهو الجهل بحاله أو الرفق به أو الحزن عليه إلى إنجاز غير مباشر استلزم دلالة محددة وهي اتهامه بالبخل وبالتالي تقصيره بحقّ زوّاره. وعبارة **(احك لي أمركم)** دلّ الفعل **(احك)** وهو فعل أمر فيه الزام القيام بعملية الكلام أو الحديث على الاستفهام والإيضاح، فالفعل في دلالته المباشرة ينجز مفهومًا واحدًا وهو الأمر بالإخبار عن مجهول أو غير واضح للطرف الآخر، غير أنّ الفعل هنا الذي جاء على صيغة سؤال عن مجهول خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مقصود وهو **(التأكيد من شيء معلوم من باب الاسئناس به وهو التلذذ في أخبار البخلاء وقصصهم ونوادرهم)** وهذا المعنى مستلزم للمعنى الأول الذي وصف بأنه غير مباشر .

وعبارة **(وتستر علي)** الفعل **(وتستر)** هنا فيه إنجاز كلامي مباشر يفيد التخفي، إذ يخشى الزائر معرفة ابن العقدي بذلك، فيريد أن يطمأن على نفسه، ويخبر الرجل بكل ما حدث في البستان من أشياء، ولكنّ القصديّة هنا لا تتجلى بالمفهوم السطحي المشار إليه، إذ يخشى ذلك الزائر عدم استضافته من قِبل ابن العقدي مرّة أخرى، وطرده نتيجة إفشائه لما يحدث له ولمن رافقه من زوّار بحضرة ابن العقدي من أحاديث، وما يُقدم لهم من طعام أو شراب. وبعد ذلك تبدأ الأفعال الكلامية بإنجازات مباشرة لا تحتمل دلالات عميقة إلا بالقد المحتمل وكانت على ذلك المبتغى:

1. **كلّف أكّاره:** الفعل الكلامي (كلّف) فيه إنجاز مباشر، والقصد منه الطلب والقيام بالأعمال الموكولة إلى الأكّار، غير أنّ ذلك الفعل حسب سياقه يستلزم دلالة غير مباشرة وهي: (ليست القيام بالعمل حسب العرف والعادات، بل تجاوز العرف والعادات إلى ما هو أشق من ذلك وأصعب، وهو القيام بالتجشية والتذرية والإدارة والغربلة والشراء والحمل إلى غير ذلك من أعمال يكلّف فيها ابن العقدي أكّاره)، وهذا أمر لا تطيقه النفس البشرية وحدها دون معاون لها على ذلك، وهنا إشارة إلى البخل الشديد الذي يتمتع به ابن العقدي إذ أنّه يوكل ويكّلف عمل اثنين أو ثلاثة إلى واحد، وهنا تبرز دلالة الفعل (كلّفه) وهو عكس دلالة الفعل (طلب) التي تحمل في باطنها نوعًا من الرحمة واللين.
2. الأفعال التالية: **(يجشه، ذرّاه، غربله، جشّ الواش منه)** هذه كلها أفعال كلامية إنجازية مباشرة لا تحتمل تفسيرات ودلالات بعيدة بحدّ ذاتها، سوى أنها مجتمعة مع بعضها البعض تعمل على إنجاز غير مباشر يتجلى بمدى حرص ابن العقدي على إخراج الأرز بحالة دقيقة وممتازة في نظره، وكل ذلك؛ لأنه اشترى الأرزّ بقشره مما كلّفه ذلك.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

3. ثمّة أفعال أخرى تحمل دلالات مباشرة من ناحية قصدية مثل: (**يطحنه، يغلي له الماء، يحتطب له، يكلّفه العجن، يخبزه**) هذه أفعال كلامية تحمل دلالات مباشرة، وهي القيام بكل ما ذكر من أفعال، غير أنها تحققت بطريقة أوحت ببخل المكلّف بها، فالطحن لم يكن في البستان أي على رحى ابن العقدي، وغلي الماء للأرز دلالة على زيادته والاستفادة منه بأكبر قدر ممكن، وكذلك عجنه بالماء الحار ليصبح أكثر اقتدادًا، جميع هذه الأفعال تحمل إنجازات كلامية فعلية مباشرة، ولكن سياقاتها تجعلها أفعالًا ذات إنجازية غير مباشرة توحي بالبخل الشديد لدى ابن العقدي.

4. وثمّة أفعال أخرى في القصة قبل ذلك قد كان ابن العقدي كلّف بها أشخاصًا آخرين مثل **ينصبوا، يسكّروا، لا يدخلوا في السواقي)** هذه أفعال مضارعة تحمل في مضامينها الأمر والتكليف والقصدية، فيها إنجازات مباشرة، فالنصب للشباك معروف والتسكير على صفار السمك أيضًا معلوم، وعدم دخول أماكن تجميع السمك كذلك الأمر، وبعض الأفعال مثل:(**يسكّروا، ولا يدخلوا**) فيها دلالات أخرى مستلزمة للفعل الكلامي المباشر وهي عدم الموافقة من قبل ابن العقدي لزوّاره بدخول مكان تجمّع السمك؛ حتّى لا ينالوا مَنه شيئًا، وإن نالوا منه شيئًا تحكّم بذلك، أي يجعله كبابًا على نار الخبز، علاوة على إجهادهم ورفع مستوى الإرهاق لديهم، فالبخيل يستغل عمّاله بكل الوسائل.

5. قلت له: (فلم لا يتخذُ موضع مرازّ من بعض رقاق أرضه، فيبذر لكم الأرزّ تمّ يكون الخيار في يده، إن أراد أن يعجّل عليكم الطعام أطعمكم الفرد، أو إن أحبّ أن يتأنى ليطعمكم الجوهريّ) هذه العبارة شملت على أفعال كلامية إنجازية مثل: (**يتخذ، يبذر، يعجل، يتأنى)** جميع هذه الأفعال سبقت باستفهام، والاستفهام من شأنه أنه فعل كلامي مباشر مستلزم للطلب والاستخبار ومعرفة الجواب، أما الأفعال التي فيها إنجازية غير مباشرة خرجت إلى دلالات ومقاصد الاستهزاء بابن العقدي، إذن يكون الاستفهام في بداية العبارة خارجًا عن معناه الحقيقي المشار إليه إلى دلالة الاستهزاء والسخرية بابن العقدي؛ لأن اتخاد ابن العقدي جزءًا من أرضه لزراعة الأرز وتقديمه لزوّاره مبكرًا أو متأخرا فيه نيل من كرمه، وعدم احترامه لزوّاره، وفيه نقص وعيب وقع على ابن العقدي، فبالتالي يتشارك الاستفهام مع أفعاله بتقديم صورة كلية عامة عن بخل ابن العقدي ومماطلته الشديدة في تجهيز الطعام وتقديمه لزوّاره .

6. عبارة: (والله لئن سمع هذا وعرفه لتكلّفنه) القسم هنا يعدّ من الأفعال الكلامية المباشرة؛ لأن فيه إثباتًا وتأكيدًا على الشيء المقسوم عليه فيكون الإنجاز هنا مباشرًا في معناه الحقيقي .فشخصية ابن العقدي قابلة لفعل أي شيء فيه مشقة وتعب على من يستضعفهم. وعبارة: (الله الله فينا) حوت فعلاً كلاميًا إنجازيًا مباشرًا وهو أرجو أو أدعو الله فينا.

المقاصد الظاهرة

هي التي يكون الكلام فيه قابلًا للتحويل إلى أفعال كلامية مباشرة ذات إنجازية وهي كما ورد معنا: احك لي أمركم، وتستر علي، يشتري، ويحمل معه، يجشّه، ذرّاه، غربله، يطحنه يغلي،

يحتطب، يخبزه، ينصبوا، ويسكّروا، لا يدخلوا، أصبنا، يندر، يعجّل، أطعمكم أحبّ، يتأنى، سمع، عرفه.

المقاصد الخفية

هي التي تنبت على أساس المقاصد الظاهرة فهي مستلزمة لها، وهي المطلوبة من فحوى الكلام مثل: احك لي أمركم / وكنت لا أظنّه ممن يحتمل قلبه ذلك / كلّف أكّاره / فلم لا يتخذ موضع مراز .... / إلخ ، وهكذا تمّت القصة عبر ألفاظ كلامية إنجازية مباشرة وغير مباشرة، تبيّن المقصود من الكلام؛ إذ تجعل المتلقي في حالة اندماج مع منتج النص؛ لأن عليه أن يتفاعل مع الكلام ليتعرف على مدلولاته ومقاصده، وكلما كانت ألفاظ النصّ تدور حول دلالات مباشرة وأخرى غير مباشرة كان النصّ أشدّ تماسكًا، وأقوى حبكًا من غيره من النصوص، ولقد تجلّى ذلك في قصة ابن العقدي التي دارت أفكارها على بخله ومدى قسوته على زوّاره وأكّاريه بشكل مسبوك ومحبوك ومقصود.

المعيار الرابع: الموقفية

وهو المعيار الرابع جوهريًا وبه يكتمل مفهوم النص مع معايير السبك والحبك والمقصدية، وتأتي أهميته في تحليل النصوص وتحديد مضمون الدلالات عبر سياق لغوي أو مقام حالي، وعند ستيفن "هو المعيار الذي يتجلى السياق فيه بوصفه محورا تدور حوله هذه المفردات المتمثلة البيئة المحيطة بالنص، فضلا عن أهمية دوره في التحليل النصي ولا سيما في حالة غياب الروابط الاتساقية"[(1)]. ولتوضيح مفهوم السياق اللغوي الذي يجري في ميدان الكلمة أو الوحدة فقد جاء في كتاب علم الدلالة: "أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، إذ إن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[(2)]. ومن الرسائل التي تكشف لنا معيار الموقفية في نظرية نحو النص في البخلاء رسالة **أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي**[(3)] **إلى الثقفي**[(4)]:

وجاء في الأثر: إنّ أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة[(5)]. وفي المثل "اصنعِ الخيرَ ولو إلى كَلبٍ"، وقال: في الحثّ على القليلِ، فضلًا على الكثير، قال الله جلّ ذكره: ***"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"***[(6)]، وقالت عائشة في حبة عنب: "إنّ فيها لمثاقيلَ ذرٍّ"، ولذلك قالوا في المثل: "من حَقَّر حَرَمَ" وقال سلم بن قتيبة: "يستحي أحدُهم من

(1) أولمان، ستيفن، *دور الكلمة في اللغة*، ترجمة د. كمال محمد بشر، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 19990م، ص 66-67.
(2) عمر، أحمد مختار، *علم الدلالة*، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1982م، ص69.
(3) أبو العاص الثقفي: ولد بالبصرة سنة 108ه. وتوفي فيها سنة 194ه، وقد كان من سراة أصل البصرة.
(4) مصدر سابق، الجاحظ: *البخلاء*، ص 151- 153.
(5) جاء في الأثر: أن أهل المعروف في الدنيا، أهل المعروف في الآخرة.
(6) سورة الزلزلة، الآية: 7، 8.

تقريبِ القليلِ منَ الطعامِ، ويأتي أعظمَ منْهُ"، وقال: "جُهدِ المَرءِ أكثرُ من عفْوِه" قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم جهد المقلّ على عفو المكثر، وإن كان مبلغ جهده قليلًا، ومبلغ عفو المكثر كثيرًا. وقالوا: "لا يمنَعُكَ منْ معروفٍ صِغَرُه"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النّار ولو بشقّ تمرةٍ"[(1)] وقال "لا تردّوا السائلَ ولو بظِلْفٍ مُحْرقٍ"[(2)]. وقال: "لا تردّوه ولو بِفرسِ شاةٍ"[(3)]، وقال: "لا تحقروا اللقمةَ، فإنّها تعودُ كالجبلِ العظيم"[(4)]، لقول الله جل ذكره: "يَمْحَقُ اللهَ الْرِّبَاْ وَيُرْبِي الْصَّدَقَاْتِ"[(5)]، وقال: "لا تردّوه ولو بِصِلةِ حَبْلٍ"[(6)] وقالت العرب: "أتاكم أخوكم يستَتِمَّكم فأتمّوا له"، وقالوا: "مانعُ الإتمامِ ألأمُ" وقالوا: "البخيلُ إن سَأل أَلِفَ، وإن سُئل سوّف"، وقالوا: "إن سُئل جمد، وإن أعطى حقد"، وقالوا: "يردُّ قبل أن يسمع، ويغضب قبل أن يفهم"، وقالوا: "البخيل إذا سُئل ارتزّ[(7)]، وإذا سُئل الجواد اهتزّ" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينادي كلّ يوم مناديان من السماء، يقول أحدهما: اللهمّ عجّل لمنفق خلَفًا، ويقول الآخر: اللهمّ عجّل لممسك تلفًا"[(8)].

وقالوا: "شرّ الثلاثة المُليم[(9)]، يمنع درّه ودرّ غيره" وقال الله جلّ ذكره: ***"اَلَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ اَلْنَّاْسَ بِاْلْبُخْلِ"***[(10)] وقالوا في المثل، إذا ألجأه الدهر إلى بخيل "شرُّ ما ألجأك إلى مُخة عُرقوب"[(11)] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قلِ العدلَ وأعطِ الفضلَ"[(12)]، وقال صلى الله عليه وسلم: "أنهاكم عن عقوق الأمّهات ووأد البنات ومنعَ وهات"[(13)]، وقال الله عزّ وجل ***"يُوْفُوْنَ بِاْلْنَذْرِ وَيَخَاْفُوْنَ يَوْمًا كَاْنَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْرًاْ"***[(14)]، وقال جلّ ذكره: ***"لَنْ تَنَاْلُوْا اْلْبِرَّ حَتَّىْ تُنْفِقُوْا مِمَّاْ تُحِبُّوْنَ"***[(15)]، وقال: ***"وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَىْ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَاْنَ بِهِمْ خَصَاْصَةٌ وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَاْئِكَ هُمُ اْلْمُفْلِحُوْنَ"***[(16)] وقالوا في الصبر على النائبة، وفي عاقبة الصبر: "عند الصباح يحمدُ القوم السُرى"، وقالوا: "الغمراتُ ثمّ ينجلينا" **وقال الجهرمي:[(17)]**

---

(1) حديث نبوي. لم يثبت في الصحيحين ولا في المسانيد.
(2) حديث نبوي. البخاري 5325 – ومسلم 1437.
(3) حديث نبوي. البخاري 5956 – ومسلم 1737.
(4) حديث نبوي. البخاري 23 – ومسلم 52.
(5) سورة البقرة، الآية: 276.
(6) حديث نبوي . مسلم 1708.
(7) ارتزَّ: انقبض وتجهم، واهتزَّ: فرح وطابت نفسه.
(8) حديث نبوي. مسلم 2258- والترمذي 2264.
(9) المليم: اللائم العاذل.
(10) سورة النساء، الآية : 37.
(11) مخة عرقوب: المخة وهي القطعة من المخ، والعرقوب: عصب غليظ موتر فوق عقب الإنسان.
(12) حديث نبوي. لم يثبت في الصحيحين ولا في المسانيد.
(13) حديث نبوي. أبو داوود 1442 ومسند أحمد 6207.
(14) سورة الإنسان، آية: 8.
(15) سورة آل عمران، آية: 92.
(16) سورة الحشر، آية 9.
(17) ينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، ج3. كما ينظر: **الأعلام**، الزركلي، ج4، ص 189.

وَدُونَ النَّدَىَ في كلِّ قلبٍ ثَنِيّةٌ لَهَا مَصعَدُ حَزنٍ وَمُنحَدَرِ سَهْلِ(1)

وَوُدّ الفتى في كلّ نيل يُنيلُهُ إذا ما انقضى لو أنّ نائلَهُ جَزْلُ

وقالو: "خير الناس خير الناس للناس، وشرّ الناس شرُّ الناس للناس"، وقالوا: "خيرُ مالك ما نفعك"، وقالوا: "جبًا لفرْط الكَبْرة مع شباب الرَغْبة(2)" **قول الراجز**

كلّنا يأملُ مُدًّا في الأجلْ والمنايا هي آفاتُ الأملْ(3)

الرسالة السابقة قامت أركانها في ظل توافر مقومات وركائز لغوية وثقافية وحضارية واجتماعية غير لغوية، فعند النظر في المقطوعة النثرية السابقة سوف يتوجب على الدراس أن يقوم بتحليلها ضمن أطر لغوية أو غير لغوية، مما يساعد السامع على فهم مدلولاتها وربطها بأيدلوجيات ثابتة يتفاعل المتلقي معها، دون حدوث أدنى فجوة أو ثغرة بين السامع أو المتلقي ومنتج النص، فالرسالة السابقة هي نتاج أو وليد الثقافة السائدة في ذاك الوقت، تمثل أجزاء متنوعة من طبيعة الفكر السائد وجوانب ظاهرة من طبيعة الحياة الاجتماعية والحضارية المتغلغلة في ثقافات الناس ومعتقداتهم وأعرافهم، لذا رأينا الرسالة السابقة ذات تأثير بارز ف النفوس؛ لتوافقها مع معتقدات المتلقي، وإشراكه في ظلال ثقافتها وحضارتها وطبيعة مواقفها الوافرة، وحتى يكون كلامنا مدعّمًا بالجانب التطبيقي فعلينا تحليل الرسالة السابقة في ظل وجود معيار الموقفية الذي أبرز الرسالة ذات هدف واضح ومقصد ثابت، فالرسالة ذات سياقات مختلفة، وألفاظها السابقة واللاحقة تندمج مع سياقات غير لغوية.

عندما يتأمل الدارس العبارات أو الجمل المأثورة والآيات القرآنية يعلم دون شك مقتضى الكلام السابق، وأنه ابن البيئة التي ولد فيها، والعبارات السابقة قيلت في مواقف حالية مما جعلها تدور في فلك النصيّة، وتكون ألفاظها ذات دلالات تدعم بعضها بعضًا، فعبارة: إنّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة "لأنّ القرآن الكريم أخبر بهذا الشي" ***هَلْ جَزَاْءُ الْإِحْسَاْنِ إِلَّا الإِحْسَاْنُ***"، وقوله تعالى "***وَمَاْ تُقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيرٍ تَجِدُوْهُ عَنْدَ اللهِ***"، وقوله تعالى "***إِنَّاْ لَاْ نُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَاً***"(4)، وقوله تعالى "***وما تفعلوا من خير يعلمه الله***"5، والكثير من الآيات القرآنية التي تتوافق مع مقتضى العبارة السابقة، فهي عبارة موقفية يشاركها الكثير من الآيات والأحاديث التي تحث المرء على فعل الخير وصنع المعروف وأنّ الله عزّ وجل يثيب على فعل الخير. وإن كان هذا التشارك بين العبارة الآنفة والآيات الموافقة داخلًا في باب التناص؛ فهذا لطبيعة الفكر بين المأثور وآيات القرآن، إلا أن ذاك الزمان بحاجة إلى أن يقف الإنسان بإيزاء أخيه؛ نظرًا لقسوة الحياة، فانهالت الآيات والأحاديث التي تبين موقف الناس في ذاك الوقت، فأثابت المعين وبينت ما عُدّ له من نعيم مقيم، وأن الله لن يضيع عمله.

(1) مصعد حزن: مطلع صعب. الثنية هنا بمعنى العقبة.

(2) الكبرة: الكبر والإثم الكبير.

(3) ينظر: *البيان والتبيين*، الجاحظ، ج3. ص 194 . وكتاب: **الحيوان** للجاحظ، ج6، ص 508 – 509.

(4) سورة الكهف، آية 30.

(5) سورة البقرة، آية 197.

فعندما وجه أبو العاص بن عبد الوهاب رسالته إلى الثقفي ، كان يعلم أن المعروف اسم يشمل جميع أنواع الخير، وأنّ الناس في الدنيا تعين بعضها بعضًا؛ حتى يتمكن المجتمع من بلوغ الحضارة والرقيّ بين الأمم ، فأرادَ أن يثيره ويحثه على فعل الخير وصنعه من إطعام ومعاونة ومؤونه وغير ذلك من أنواع المعروف؛ ليحظى في الآخرة حسن ما عمل.

فالمقام الذي قيلت فيه العبارة السابقة يحتاج فعلًا إلى صنع المعروف؛ لأن المجتمع قليل الخير وفيه الفقير والغني والضعيف والقوي، وكان المعروف أمرًا أساسًا لا غنى عنه، ومن يقرأ أو يتلقى تلك العبارة "إنّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"، في ذاك الوقت يعلم مدى أهمية صنع المعروف وأن الناس تحتاج إليه كثيرًا، فيتفاعل معها ويندمج؛ لأنها تمسّه فهو من شريحة المجتمع. وبعد ذلك بدأ أبو العاص سرد العبارات والأقوال المأثورة عن السلف فيما يخصّ عمل الخير أو المعروف؛ ليبيّن لثقفيّ أنّ المعروف أبوابه كثيرة فمن أي باب تدخل تخرج بخير عظيم منه .

وقول عائشة- رضي الله وأرضاها- في حبة العنب إنّ فيها لمثاقيل ذر يتوافق مع قول الله عز وجل "فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره"، وسياق الآية المقامي يناسب مع حال صاحب المعروف بأنه سوف يرى كل خير في الدنيا والآخرة. وقول أبي العاص "جهد المرء أكثر من عفوه" فالسياق المقامي هنا أن المجتمع بطبعه يميل إلى الإكثار من الشيء وتقليل دوامه، وهذا لا يتوافق مع الأحاديث والآيات لأن قليلًا دائمًا خير من كثير منطقع، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" يبين لك أن المسألة ليست الإكثار بل هي دوام القليل من المعروف أو أنه إكثار يصاحبه انقطاع، فتوالت العبارات المأثورة السابقة لتصف المجتمع في ميله إلى الكثير المنقطع وهذا مقام حال أهله، فالعبارات المشار إليها ذات مقام وسبب. وكذلك الأمر في اصنع الخير ولو إلى كلب، وجاء في الأثر أن امرأة دخلت الجنة في كلب، فكانت العبارات المأثورة السابقة تتناسب مع مقتضى حال القوم وتتواق أيضًا مع الآيات والأحاديث لأنها في سياق مقامي متشابه.

وقوله عن السائل: "لا تردّوا السائل ولو بظلف محرق، ولا تردّوه ولو بفرس شاة" وقوله: "لا تحقروا اللقمة فإنها تعود كالجبل العظيم. الأقوال السابقة منها سياق مقامي، وإخراج السياق المقامي منها يتطلب معرفة الظرف المحيط بها، فلفظ الظلف المحرق أو فرس الشاة استخدم هنا في النص كناية عن تقديم النزير وعدم الاستهانة فيه وهو معلوم في ذاك الوقت؛ فالظلف المحرق ما كان مشقوقًا من البقر وغيرها فبالتالي لا غنى فيه، ولكنه من صنع المعروف، وهو معلوم عند أهله في ذاك الزمان كما أشرنا قبل قليل، وهذا يتناص مع قوله تعالى: ***وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ***"[(1)]، فمقتضى هذه الآية يجعلك تتصدق على السائل ولو بما تراه لا قيمة فيه وذلك خير من ردّه وقوله: "لا تحقروا اللقمة فإنها يعود كالجبل العظيم" تتناسق مقاميًا مع العبارات السابقة التي لا تقلل من شأن وأجر المعروف القليل، وفي الوقت ذاته تتناص مع قول الله تعالى "***يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَىٰ وَيُرْبِي***

(1) سورة الضحى، آية : 10.

Published by Arab Journals Platform, 2021

الْصَدَقَٰتِ"[(1)] وقول العرب: "أتاكم أخوكم يستتمّكم فأتمّوا له" سياق هذه العبارة يتوافق مع مقتضاها إذا إن العرب في تجوال دائم، وهذا يعرضهم للنقص من طعام وشراب وأشياء أخر، لذلك وجب على الفرد إتمام نقص أخيه، فالكل معرض للموقف نفسه.

المعيار الخامس: الإعلامية

كلما كان النصُّ فعّالًا وذا حدود واسعة، وأطر أفقية عالية، ومعلومات ذي جدّة وجديدة نافعة، وأفكار غير محتملة أو متوقعة من قبل المتلقي كانت الإعلامية في أوج درجاتها، وخاصة إن باغتت المتلقي بمحتواها غير المحتمل. ثم إنّ الإعلامية "تشمل كل ما يجاوز الجانبين العاطفي والفكري في الكلام، وكل ما يجاوز كذلك إيصال الوقائع والآراء إلى الآخرين، وموطنها هو الأسلوب"[(2)]. وأما مجالاتها "فاللغة الأدبية هي مسرحها، والأفعال الكامنة في بعض الصيغ والعبارات والاشتقاقات هو المنهل الأساسي الذي تنهل منه"[(3)]، كما أن الإعلامية تتكئ على ما يقدمه النص للمتلقي من جديد نافع، وهذا مما جاء عند إلهام أبو غزالة وعلي حمد أنها "تتعلق بمدى ما يجده مستعملو النص في عرضه من جدّة وعدم توقع"[(4)]. لهذا إعلامية أي نص أدبي تعتمد على مهارة منتج النص، وإرهاصاته الفنية التي تلهمه موطن مباغتة المتلقي من حيث عدم شعوره بالنتائج الأولية أو النهائية، وبالتالي يتعمق المتلقي بمضامين النص، ويُشرك عقله بالجزء المباغت له، ومن الشواهد على معيار الإعلامية من أحاديث طرف شتى ما رواه **أبو الحسن المدائني:**[(5)]

قال: كان بالمدائن تمّارٌ، وكانَ غلامُهُ إذا دخَلَ الحانُوتَ يحتالُ فربَّما احتبَسَ فاتَّهمَهُ بأكْلِ التمْرِ. فسألَهُ يومًا فأنكَرَ، فدعا بِقطنَةٍ بيضاءَ، ثمَّ قالَ: "امضغْها"، فمضغها، فلمّا أخرجَهَا وجدَ فيها حلاوةً وصفرةً. قال: "هذا وأبك كلّ يوم، وأنا لا أعلم؟ اخرج من داري".

هذه الطرفة تمثل نفسية التمّار البخيلة الذي طرد غلامه بسبب أكله لبعض التمور، والشيء الغريب غير المتوقع أو المحتمل في ثنايا القصة هي (**الطريقة المتبعة في معرفة أكل التمور من قبل الغلام التي قام بها التمّار نفسه**)، إذ كان فيها شيء من الغريب النافع، فاختيار القطنة دون سواها من الأشياء كان علامة على ذكاء الرجل؛ فالقطنة هي بيضاء والتمر يميل إلى السواد، فإن أكل الغلام شيئا من التمر فإنه سيعلق بتأكيد على القطنة، فاستعمال القطنة للكشف والتحليل غير متوقع ولا محتمل بالنسبة للقارئ، فيرتقي النص هنا إعلاميًا إلى الدرجة الثالثة التي من شأنها أن تجعل القارئ يفكر في حسن ذكاء الرجل باختياره للقطنة لمعرفة إن كان الغلام يأكل التمر أم لا. وإن سأل سائل أنّ اختيار القطنة للمعرفة والكشف متوقع ومحتمل نقول له: أن ذلك يستدعي جهدًا

---

(1) سورة البقرة، آية 276.
(2) أبو حمدان، سمير، *الإبلاغية في البلاغة العربية*، ط1، دار عويدات، بيروت، 1991م، ص 25.
(3) المرجع نفسه، ص 37
(4) أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل، *مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج دريسلر*، ط2، المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 184.
(5) مصدر سابق، الجاحظ، *البخلاء*، ص 122.

من التفكير بسبب غرابة الموضوع وبالتالي يكون النص ذا إعلامية من الدرجة الثانية؛ لأنه محتمل في هيئة غير محتملة أو متوقعة. فنخلص من النص السابق بأنه لم يقدّم معلومات بالية معروفة للمتلقي، بل إنه استحدث أفكارًا جديدة ونافعة ترتقي في النص **إلى ناحيتين:**

الأول: إعلامية تتجاوز الدرجة الأولى وتصل إلى الدرجة الثانية في زماننا وإلى الدرجة الثالثة في ذاك الوقت.

الثانية: أن يكون النص في مجموعة الغرائب والنوادر والطرائف ، فبالتالي لن تكون معطياته سهلة التوقع والاحتمال.

أمّا من ناحية الألفاظ والتراكيب فكانت سهلة ومعروفة للمتلقي ولم يبذل قصارى جهده في التعّرف على معاني المفردات ودلالالتها، إذن كانت إعلامية بالنسبة للقارئ من الدرجة الأولى، فالنص لم يحتج إلى تخفيض في درجة التعقيد؛ لأن ألفاظه سهلة وأفكاره جديدة ونافعة بالنسبة للمتلقين. ومن الشواهد الحيّة على معيار الإعلامية ما ذُكر في باب قصة ابن عيينة:[(1)]

وقرب خبّازُ أسدِ بن عبد الله إليه وهو على خُرسان شِواءً قدْ أنضجه نُضجًا. وكان يُعجبه ما رطُب من الشَّواء. فقال لخبّازه: "أتظنَّ أنَّ صنيعَكَ يخفى عليَّ؟ إنَّك لستَ تُبالغ في إنضاجِهِ لتطيبه، ولكن تستحلب جميعَ دسمِهِ، فتنتفعَ بذلك منه. فبلغتْ أخاه فقالَ: ربَّ جهلٍ خيرٌ من عِلم.

ونجمل نظرًا لضيق المتسع مواطن الإعلامية في القصة السابقة مع بيان درجاتها على النحو الآتي:

1. عبارة (كان يعجبه ما رطب من الشَّواء)، لا تحمل في باطنها الجديد النافع، لأنها محبوكة بحكم علاقة السبب والنتيجة؛ فلأن أسد بن عبد الله يحب الشواء رطبًا، قام خبازه بإنضاجه له؛ رغبة من الخباز بنيل الرضا من أسد بن عبد الله، هذه إعلامية بناء على ذلك من الدرجة الأولى؛ لوجود علاقة السبب والنتيجة المنطقية فيها، ولمقدرة القارئ على تفسير صنع خباز أسد ذلك الإنضاج.
2. عبارة (فقال لخبازه)، هذه العبارة خالفت توقع المتلقي نوعا ما، إذ كان الأصل أن يقول لخبازه كلمة شكر أو مدح؛ لأنه قدم له ما يرغب ويحب، لكن ليس هذا ما قد وقع، بل إنه شك في صنيع خبازه من إنضاج الشواء، وبالتالي وقع المحتوى المحتمل في صياغة غير محتملة، فهي إعلامية من الدرجة الثانية، وهي متفاوتة حسب نوع المتلقي وثقافته، فإن كان المتلقي غير محدود الثقافة وتوقع ذلك تبقى إعلامية من الدرجة نفسها، وإن كان محدود الثقافة ربما ترتقي لدرجة ثالثة.
3. عبارة (تستحلب جميع دسمه، فتنتفع بذلك منه)، هي عبارة جواب على سؤال من أسد بن عبد الله، والإجابة هنا بالنسبة للمتلقي غير متوقعة تماما، والدليل على ذلك أن عقل المتلقي عند سماعه تلك العبارة يصيبه الاستغراب الشديد المضحك، وهذه شأن إعلامية الدرجة الثالثة،

(1) مصدر سابق، الجاحظ، *البخلاء*، ص 134.

وفيها يكون المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة. وأما بالنسبة للألفاظ كانت ما بين المحتملة وغير المحتملة ولم ترتقِ هنا إلى درجة التعقيد أو الغريب من اللفظ غير المتوقع على القارئ، فبقيت تدور حول إعلامية من الدرجة الأولى والثانية. مثل (شواء، رطب، تطيب، تنتفع) هذه ألفاظ ليس فيها جديد نافع على المتلقي، عكس(تستحلب، رب جهل) فيها الجديد النافع وهكذا.

المعيار السادس:المقبولية

إذ يقول روبرت دي بوجراند "إنّ المقبولية مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له، أي: إنها تعني طبيعة استقبال المتلقي للنص بعدّه وقبوله له، أي: إنها تعني طبيعة استقبال المتلقي للنص بعدّه متماسكًا منسجمًا ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة به"[(1)] والمقبولية "أمر يتعلق بموقف المتلقي من قبول النص أو رفضه، فالمستقبل هو الحكم الذي يقرّ بأن المنطوقات اللغوية تكوّن نصًّا متماسكًا مقبولًا"[(2)]. فالمقبولية في نظر الباحث متوقفة على قصدية منتج النص الذي يراعي فيها سبك النص وحبكه، لتأتي بعد ذلك مقبولية منطقية للنص وقد أشار محمد حماسة إلى تلك العلاقة الثلاثية في تخريج معيار المقبولية بقوله: "فالعنصر النحوي يمد العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر"[(3)]، ومن الأمثلة الشاهدة على معيار المقبولية حديث **خالد بن يزيد مولى المهالبة**:[(4)]

وكان قد بلغ في البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها أحد. وكان ينزل في شقّ بني تميم، فلم يعرفوه. فوقف عليه ذات يوم سائل، وهو في مجلس من مجالسهم، فأدخل يده في الكيس ليخرج فلسًا وفلوس البصرة كبار - فغلط بدرهم بغْلي، فلم يفطن حتّى وضعه في يد السائل. فلما فطن استردّه، وأعطاه الفلس، فقيل عند من؟ إني لم أجمع هذا المال بعقولكم، فأفرّقه بعقولكم. ليس هذا من مساكين الدراهم، هذا من مساكين الفلوس. والله ما أعرفه إلّا بالفراسة. إنّ معيار المقبولية في النص السابق يتوقف على عدّة نقاط أساسية متى اتصف بها أو اتصفت به صار لزامًا على المتلقي التفاعل مع معطيات النص والعمل على معرفة أسراره اللغوية الكاشفة عن الحالة الإبداعية ، وإبداع منتجه الذي قصده على هذه الوتيرة.

أولًا: المقبولية على مستوى التركيب النحوي للألفاظ

إن المتأمّل والممعن للنظر في النص السابق يشفّ بعض أسرار من الجانب الكلاسكي المعياري مما يجعله باب رضا وقبول، فلقد اتسقت ألفاظه وتماسكت مع بعضها؛ لتؤدي دلالات ثابتة يصل إليها المتلقي أو القارئ الواعي عبر سبك النص من نواحي وسائله وأدواته. فتتابع الفعلين (كان وينزل) في بداية القصة تجعل القارئ يعي أنّه دائم النزول والمكوث في شق بني تميم

---

(1) دي بوجراند، روبرت ألان، ودريسلر، *مدخل إلى علم النص*، ط1، مطبعة القاهرة، دار الكتاب،1981م

(2) محمود، محمد خليفة، *التوحد الإبداعي في نحو النص*، ص 1467 .

(3) حماسة، محمد، *النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي*، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص 113.

(4) مصدر سابق، الجاحظ، *البخلاء*، ص 44.

عبر دلالتي الفعلين كان الذي يفيد وقوع الحدث في الماضي مع المحافظة على الاستمرارية في الحاضر، ودلالة الفعل ينزل أيضًا دلالة على استمرارية حضوره في شق بني تميم.

وأسلوب النفي (فلم يعرفوه)، مجيء أسلوب النفي بعد الجملة الفعلية الناقصة مباشرة دلالة على نوع من التناقص؛ لأن وجوده الدائم في شق بني تميم يتوجب معرفته أو التعرّف عليه، ولكن شخصيته البخيلة ربما حالت دون سرعة التعرف عليه، فرغم مكثه في ديارهم فإنهم لم يعرفوه، وهنا دلالة استمرارية على نفي معرفته. والذي يؤيد تلك الفكرة حضور فاء التعقيب على حرف النفي التي أفادت بإطلاق الحكم وتمهيده للمتلقي منذ البدء، (فوقف عليه ذات يوم سائل)، نلحظ الفصل بين الفعل وقف والفاعل السائل، ليكون ذلك مقبولًا من المتلقي أكثر من عبارة فوقف سائل عليه ذات يوم، وتغير مواقع الألفاظ في السياق اللغوي يتوجب تغيير مفهوم الدلالة، ففي حالة فصل الفاعل عن فاعله هنا يكون التركيز منصبًّا على أهمية وهيئة وقوف السائل عنده، فكأنّ السياق يخبر عن مدى قرب السائل منه وكأنه صار واقفًا عليه تمامًا كناية عن الالتصاق به والتمسك العنيف بخالد بن يزيد، فيكون سبب الفصل بينهما نابع من بيان الهيئة والكيفية التي وقف بها السائل، وليس السائل نفسه المعني بل هيئته في ذلك، حينئذ يتقبل القارئ هذا المفهوم من ناحية سبكية أفضت إلى تحليل دلالي بارع. ومن ذلك (وهو في مجلس في مجالسهم)، تحتلُّ هذه الجملة أهمية بالغة كونها تعتبر مركزًا أو أساسًا تدور حولها معطيات القصة، فلولا وجود هذا التركيب لما دارت الأحداث بالشكل المقبول للقارئ، ويتضح ذلك أن جملة الحال (وهو في مجلس من مجالسهم) أنّ السائل عندما وقف على خالد بن يزيد لم يكن بمنأى عن الناس، ولو كان ذاك صحيحًا حين عرفوا بخله ومدى حبه لجمع المال، وهذا يجعل جملة الحال التي احتوت واو الحال وصاحب الحال خالد بن يزيد في مكان قبول للقارئ، (فأدخل يده في الكيس ليخرج فلسًا)، فالتركيب النحوي هنا جعل العبارة مقبولة عند القارئين؛ لأنها قامت على علاقة ثنائية قوية وهي السبب والنتيجة ثمّ السبب والنتيجة للمرة الثانية، مما جعل الجملة التركيبية منطقية في ذهن المتلقي. فلو أنّ السائل لم يقف عليه لما أدخل يده في الكيس فهذا على المستوى الأول، ثم يقوم بإدخال يده في الكيس ليخرج الفلس على المستوى الثاني، فحضور حرف عطف الفاء بأول العبارة يدل على أن السائل أثقل بنفسه على خالد بن يزيد مما جعله يبادر بإخراج الفلس من الكيس (فلم يفطن حتّى وضعه في يد السائل)، استخدام حتّى هنا كان مقبولًا عند القارئ من ناحية دلالية عميقة، فلو أنّه قال فلم يفطن إلا بعد ما وضعه في يدد السائل، لاختلف المفهوم الدلالي، فالأوّل يعني انتهاء الغاية الزمكانية، فيدل السياق هنا على أن الفلس البغلي قد صار بشكل حقيقي في يد السائل، وبعدها فطن خالد بن يزيد، والثاني تعني المفهوم ذاته؛ لأن فيها نفيًا وحصرًا، ولكن منتج النص لم يرد الثانية بل اختار الأولى لتدل على أن الفلس انتقل من الكيس إلى يد السائل.

كما أنّ الإحالة القبيلة عبر الضمير الغائب المفرد (وضعه) جعل الجملة في حالة سبك مع سابقيها من الجمل، مما يجعل هذا التركيب مقبولًا عند القارئ للفت انتباهه بمجريات القصة من البدء. (فلما فطن استردّه، وأعطاه الفلس)، هنا تتجلى عملية سبك النص وجعله مشدودًا في ذهن المتلقي ومقبولًا لديه، فلقد تمّ الربط بين الجملتين المختلفتين دلاليًا عبر واو العطف وجعلها جملة مسبوكة واحدة، ويتمّ تفسير ذلك عبر استراد الفلس البغلي وإرجاعه إلى الكيس ليتمّ بعدها مباشرة

إعطاء السائل فلسًا آخر، فالجملتان مختلفتان من الجانب الدلالي عندما تؤخذان على حدى، ولكنّ حدوث العمليتين معًا في الوقت المتقارب تزمينيًا دلّ على مفهوم واحد وهو حرص خالد بن يزيد الشديد على الفلس البغلي مما استدعاه ذلك رده من يد السائل وإبداله بفلس مغاير، ما جعل أصحاب المجلس يعيبون عليه فعله وصنيعه، فلولا تواتر الجملتين هنا لما حدث هذا المفهوم في ذهن القارئ، مما يصيّر التركيب السابق مقبولًا عند القارئين. (هذا لا نظنّه يحل، وهو بعد قبيح)، ابتدأت الصيغة باسم الإشارة هذا لتدلّ على مجريات القصة كاملة، وهذا من حسن سبك النص عند منتجه، فاسم الإشارة هذا يحيل إحالة مقامية سياقية قبيلة لأحداث القصة وظهور اسم الإشارة في نهاية القصة، يجعله مقبولًا في نفس المتلقي خاصة مع الإحالة لما سلف من مجريات، وبالتالي عمل اسم الإشارة على سبك النص وإعادة تدويره في ذهن المتلقي، وجعله متفاعلًا مع القصة بأفكارها ورؤاها، (إنّي لم أجمع هذا المال بعقولكم، فأفرّقه بعقولكم) ففي العبارتين، يأتي الرّد العقلاني والمباشر من خالد بن يزيد على من عاب عليه فعله وصنيعه السابق بجملتين سبكتا نحويًا مما أفضى بهما لأن يكونا جملة واحدة مؤكدة على الفكرة الخارجة من ذهن خالد بن يزيد، فلقد أفتتحت العبارة بجملة توكيدية توضح مدى قوة اعتقاد خالد بن يزيد بما يقول، ومما يزيد هذا الاعتقاد اعتقادًا جازمًا إلحاق جملة التوكيد بحرف النفي الذي يفيد النفي للماضي المطلق، ويتتابع التوكيد على الفكرة ذاتها عبر حرف الجر الباء الذي يفيد التوكيد الشديد على أنّ خالد بن يزيد لم يكن ليجمع المال بعقول الناس وتفكيرهم وتخطيطهم، بل إنه جمعه بعقله وتفكيره وجهده، لهذا لن يفّرق ماله بما يراه الناس ويستحسنوه.

علاوة على ذلك بروز بعض وسائل السبك مثل اسم الإشارة هذا الذي أحال إحالة مقامية بعدية وقبلية في الوقت ذاته للمال الذي قد جمعه خالد بن يزيد، فثمّة إشارة هنا للمال الذي أخرجه خالد بن يزيد من الكيس؛ ليعطيه للسائل وهذا ما دلّ عليه اسم الإشارة بإحالته القبيلة، وكذلك إشارة إلى المال الذي جمعه عبر الإحالة البعدية، فلكل إحالة إشارة محددة.

وقد أحال ضمير المخاطب الكاف المتصل بميم الجماعة إلى من كان حاضرًا في المجلس معيبًا على خالد بن يزيد فعله، فعبر الإحالات السابقة، أصبح التالي مسبوكًا بالسابق، وجعلهما قطعة واحدة مما يجعل النص كله حاضرًا في ذهن المتلقي ومقبولًا لديه، (والله ما أعرفه إلّا بالفراسة)، حوت الجملة أسلوب القسم المكون من المقسم به وهو الله سبحانه وتعالى والمقسم عليه وهو السائل، وقد أُتبعت بأسلوب حصر مسبوق بالنفي، وجملة القسم تأتي بعد أن بيّن خالد بن يزيد رأيه فأراد أن يصدّق الناسُ الجالسون كلامه باستعمال أسلوب القسم وهو تأكيد على صحة أو تبرير فعله، وأما أسلوب النفي فلقد حصر أمر المعرفة فقط أي بمعنى أن علاقة خالد بن يزيد بالسائل هي علاقة معرفية فقط، والمعرفة هنا لم تتشكل إلا عبر الفراسة، وكأنّ الفراسة قد التصقت بشخصية خالد بن يزيد وأصبحت جزءًا حقيقيًا منه، وهذا المفهوم الأخير تمثل للقارئ عبر حرف الجر الباء، وكل ما ذكر من مفاهيم أخرى تُجلب عبر وسائل السبك وأدواته، وبالتالي صار النص كله أمام القارئ مقبولًا ومستحسنًا.

ثانيًا : المقبولية على مستوى اللفظية المعجمية

ونستشهد لها من تفسير كلام أبي الفاتك، **ثم قال الحارثيُّ**:[1]

وأعجب من كل عجب، وأطرف من كل طريف، أنكم تشيرون عليّ بإطعام الأكلة، ودفعي إلى الناس مالي. وأنتم أترك لهذا منّي. فإن زعمتم أني أكثر مالًا، وأعدّ عدّة، فليس بين حالي وحالكم في التقارب، أن أطعم أبدًا، وأنتم تأكلون أبدًا. فإذا أتيتم في أموالكم من البذل والإطعام، على قدر احتمالكم، عرفتُ بذلك أن الخير أردتم، وإلى تزييني ذهبتم. وإلا فإنكم تحلبون حلبًا لكم شطره. بل أنتم كما **قال الشاعر**:[2]

يحبُّ الخمر من مال النّدامى ويكره أن تفارقه الفلوسُ[3]

أي لفظة داخل محتوى النص لها قيمتها الدلالية وإلا فما أهمية ذكرها دون سواها من الألفاظ، واختيار الألفاظ وانتقاؤها يكون على قصد تام من المنتج؛ لإيمانه بأن اللفظة تعطي الدلالة المقصودة عندما تكون نابعة من سياقها اللغوي، ومقرونة بغيرها من الألفاظ بحكم وجود العلاقات الثنائية بينهما، فكلما كانت العلاقات بين الألفاظ حاضرة وبارزة كان تعالقها بشكل نهائي متصل مع الدلالة العميقة التي يتوجب على القارئ الوصول إليها وقراءتها عبر العلاقات التي تجعل جلّ الألفاظ محبوكة حبكًا منطقيًا وموصلة إلى الغايات العليا في النص، وبالتالي يتقبل القارئ النص حينها؛ لأنه طريق حقيقي إلى عالم المعرفة والفنّ.

وسوف نسلط الضوء على النصّ الذي نحن بصدده ؛ للكشف عن بعض علاقاته التي جعلته محبوكًا دلاليًا وقاضية على كل أسباب تراخيه وشرخه؛ ليكون ذلك من الأسباب الموجبة على القارئ تقبل النص.

أولًا: علاقة جملة الشرط بجملة الجواب

وهي من العلاقات المنطقية التي تجعل الجملتين في حالة حبك قوية لارتباطهما بالدلالة. (فإذا أتيتم في أموالكم من البذل والإطعام، على قدر احتمالكم، عرفت بذلك أن الخير أردتم، وإلى تزييني ذهبتم، وإلا فإنكم تحلبون حلبًا لكم شطره) الجمل التي بين أيدينا تحكمها علاقة الشرط بجوابه أو العكس، فأنت تلحظ بأن الحارثي عبر الشرط الذي وضعه يجعل من يطالبه بالانفاق في دائرة التفكير ومراجعة أحوالهم وظروفهم، فيخبرهم بأنه طالما أنكم لم تبذلوا شيئًا من أموالكم، ولم تجعلوا موائد لطعامكم، فإنكم متهمّون بالتقصير، وما إلحاحكم علّي بالانفاق إلا لأجل أن تشاطروني وتقاسموني.

(1) ينظر: الجاحظ، *البخلاء*، ص 73.

(2) المصدر نفسه، الجاحظ، *البخلاء*، ص 73.

(3) يقال أن ابن عمر كثيرًا ما كان يتمثل بهذا البيت، ويستشهد بهذا البيت على من يبخل بشرب الخمر، ويرغبها من مال غيره. ينظر: الجاحظ، *البخلاء*، تحقيق، د. يوسف الصميلي، ص 73.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 35 [2021], Iss. 10, Art. 4

فقوّة العلاقة بين جملة الشرط (فإذا أتيتم في أموالكم) وجوابه (عرفت بذلك أن الخير أردتم) علامة على ترابط الجملة الثانية بالجملة الأولى وفي حال فكاكهما عن بعضهما يحدث شرخًا في المفهوم الترابطي الدلالي وهذا يرفضه القارئ.

ثانيًا: علاقة الإضافة المتكافئة

إذ أنّها تمّت في الحديث السابق عبر إعادة بعض الألفاظ التي من شأنها تأدية المعنى ذاته ولكن تمّ ذلك عبر ألفاظ مغايرة عن بعضها (وأعجب من كل العجب، وأطرف من كل طريف) يرى الدارس هنا لفت القارئ منذ البدء إلى كلام ذي فائدة وأهمية وغرابة سوف يتّم سرده، مما يتوجب على القارئ التدقيق في المقروء، والتركيز في المسموع، فما الفرق بين الأمر العجب والطريف؟ إذ إنَّ الأمرين يشتركان في الغرابة ولفت الانتباه إلى شيء جديد ويستحق المتابعة من لدن القارئ، فبالتالي عملية شبه الترادف بهذه الصورة فيها نوع من الفائدة، والتركيز على غرابة الشيء وندرته في الواقع وعدم رؤيته كثيرًا، كل ذلك يجعل النص عند القارئ مقبولًا، ولو أردنا أن نستخلص غرابة قصة الحارثيّ لكانت متجلية في أناس يكنزون المال ولا ينفقونه، بل ويأمرون الآخرين ناصحين لهم بفضل الصدقات بكافة أنواعها؛ ليشاطروا المنفق بذلك.

ثالثًا: علاقة السبب بالنتيجة

وهي من العلاقات المنطقية التي تجعل الجمل محبوكة دلاليًا ومترابطة معنويًا، وقد تجلّت هذه العلاقة في قوله (أنكم تشيرون علي بإطعام الأكلة) و(دفعي إلى الناس بمالي)، فهاتان نتيجتان، (فإن زعمتم أني أكثر مالًا، وأعدّ عدة) وهذان سببان، تلحظ أنّ سببين ولّدا نتيجتين، أي أننا أمام ثلاث جمل ذات دلالات مختلفة. ولكن بحكم تلك العلاقة أصبحت الجمل الثلاث جملة واحدة منطقية مقبولة عند القارئ؛ لأن ميسور الحال في نظر الآخرين يتوجب عليه الإنفاق وإطعام الطعام .

رابعًا: علاقة الإضافة المختلفة

وفيها يتم المقارنة بين عنصرين أو طرفين أو حالين مختلفين وتمثلت هذه العلاقة عندما ساق الحارثي بيت **الشعر الآتي:**

يحبُّ الخمرَ من مال النّدامى   وَيَكْرَهُ أنْ تفارقَهُ الفلوسُ.

مما لا يعتريه شك أن البيت حمل في صدره وعجزه صورة تقابلية عكسّية، على الرغم أنه ثمّة من يحب شرب الخمر والمقصود الفئة التي هجاها الحارثيّ عبر البيت نفسه، إلّا أنّ بعضهم يكره ويرفض دفع ثمنها؛ لتفضيل الفلوس عليها وللتعلق الشديد بالفلوس، فجاء البيت ليوضح حالة متناقضة ومتقابلة فهناك حب يقابله كره في نفس تلك الفئة، والرابط المعنوي بين البيت والقصة هو تمثل الشيء والاعتقاد به دون الإقدام على إنجازه وفعله، فيصير محبّبًا من الآخرين إن فعلوه ومكروهًا عمله من محبيه. وفي النهاية لاحظنا أن العلاقات الثنائية تعمل دور الربط المفهومي الدلالي، فلا سبب دون نتيجة، ولا نتيجة دون سبب، ولا شرط دون جواب والعكس من ذلك، ولا

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

خصوص دون عموم وهكذا تنتهج العلاقات الثنائية منطقية تتواقف مع ذهن المتلقي لتشاركه العملية الإبداعية، وتجعله راضيًا عنها متفاعلًا مع أحداثها وفضائها العام.

المعيار السابع: التناص

لاحظ بعض العلماء والنقاد أن النصوص تتشارك في العلاقة فيما بينها، فظهرت الإشارات الأولى لمفهوم التناص عند العالم الروسي ميخائيل باختين من خلال كتابه (فلسفة اللغة)، "إذ اهتم بالوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص عند استعادتها أو محاكاتها لنصوص- أو أجزاء- من نصوص سابقة عليها"[1]، وقد كرر أن"كل تلفظ يرتبط بعلاقة مع التلفظات السابقة خالقا بذلك حوارا معها"[2].

فالتناص حالة استدعائية لازمة تتفاوت نسبه من نص لآخر حسب مدى انفتاحه وقوة تحاوره، كما أنه لا يتم بشكل عشوائي مبعثر، بل إنه محكوم بأطر وعلاقات محددة تقوم على أساس تعالق تشابهي يخدم الغرض المتشابه بين النصين المتناصين، كما أنّ التناص فتح باب الاندماج والتفاعل والتحاور من قبل المتلقي مع النصوص الأخرى ليندمج المتلقي في علاقاتها ومعطياتها وأفكارها؛ ليتحقق مقتضى نظرية نحو النص في ضوء معاييرها السبعة التي تجعل العملية الإبداعية ذات أثر حقيقي في النفوس. ومما لا بد من الإشارة إليه في معيار التناصية أن جوليا كريستيفيا تعد رائدة مصطلح التناص في الدراسات النقدية وأقرت بأن التناص: "هو التقاطع والتعديل التبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، ثم وصلت بعد حين إلى أن كل نص هو تسرب وتحويل من نص آخر"[3]، والتناص حالة إبداعية في ذاته وهو علامة على نضج النص الأدبي الذي يتأثر بالنصوص الأدبية ويؤثر هو فيها أيضًا، وهذا ما تبناه رولان بارت في قوله عن التناص: "أنه بحث عن الكتابة في الكتابة بتذويب النصوص وإماتتها تناصيًا وملكيًا"[4]، أي أن النصوص نتيجة تناصها أصبحت بلا مالك لها، **وحديث مريم الصّناع من الشواهد الحقيقية على هذا المعيار:**[5]

فأقبل عليهم شيخٌ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصناع ؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح قالوا: فحدثنا عنها. قال: نوادرها كثيرة وحديثها طويل ، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتها وهي بنتُ اثنتي عشرة سنة، فحلّتها الذهب والفضة وكستها المرويّ والوشي والقزّ والخزّ وعلّقت المعصفر، ودقّت الطيب، وعظمت أمرها في عين الختن، ورفعت من قدرها عند الأحماء، فقال لها زوجها أنّى لك هذا يا مريم ؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي الجملة وهاتي التفسير والله ما كنتِ ذا مال قديمًا ولا ورثته حديثا، وما أنت بخائنة في نفسك ولا مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعت على كنز. وكيف دار الأمر، فقد أسقطت عني مؤنة وكفيتني هذه النائبة قالت: اعلم أني منذُ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل

(1) بنيس، محمد، *الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته*، ط1، دار توبقال، المغرب،1990م، ص183-185.
(2) ينظر: تودوروف، *ميخائيل باختين والمبدأ الحواري*، ص 121.
(3) البادي، ميجان، والبازعي، سعيد، *دليل الناقد الأدبي*، ط1، دار العبيكان، الرياض، 1996م، ص 147.
(4) السيد، علاء رمضان، *ظواهر فنية في لغة الشعر*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996م، ص110.
(5) ينظر: الجاحظ، *البخلاء*، ص 30.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 35 [2021], Iss. 10, Art. 4

عجنة حفنة، وكنّا كما قد علمت نخبزُ في كل يوم مرّة، فإذا اجتمع من ذلك مكوك[1] بعته. قال زوجها: ثبّت الله رأيك وأرشدك، ولقد أسعد الله من كنت له سكنًا، وبارك لمن جُعِلت له إلفًا.

ففي القصة السّابقة وقع التناصُّ ليشارك نصًّا قرآنيًا سابقًا عليه، إذ يمتزج الحديث مع القديم ليعطي دلالةً بلاغية واضحة، خاصة أن موطن التناص تمّ في مكانه المناسب ليقدّم المعنى الذي يتوافق مع الآية الكريمة، مع اختلاف المناسبة بينهما. فعندما اندهش الزوج من حليّ زوجته وكسائها الجميل، واستغرب من هذا كله؟ وهو يعلم بعدم ثرائها قال لزوجته أني لك هذا يا مريم ؟ قالت: هو من عند عبد الله. ثم أخبرته القصة وهذه العبارة تناصت مع الآية القرآنية الكريمة: " ***فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ***"[2].

ذكر ابن كثير في تفسيره لتلك الآية عندما أخبر الله تعالى عن سيادة مريم بنت عمران وجلالتها في محل عبادتها قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو الثعثاء، وإبراهيم النخعي، والضماك، وقتاده، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، والسدي، والشعبي يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وعن مجاهد (***وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا***) أي: علما، أو قال: صحفا فيها علم. رواه ابن أبي حاتم، والأول أصح. فإذا رأى زكريا هذا عندها (***قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا***) أي : يقول من أين لك هذا ؟ قالت: (***مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ***)[3].

وكذلك تمّ التناص بين قول الزوج وإني لأرجو الله أن يخرج ولدك على عرقك الصالح، وعلى مذهبك المحمود مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ناداه ملك الجبال "وسلم عليه ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم": (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا") [4]، فوجه التناص مع الآية القرآنية الكريمة يكمن في الاستغراب والدهشة من الخير والفضل من غير أن يكون له مصدر مرئي، أما وجه التناص مع قول رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الرغبة في وجود الصالحين الموحدين بالله في زمن كثرت فيه الفتنة والشر وقلة الخير.

خاتمة

إنَّ نصوص البخلاء تماشت مع النظريّات اللسانيّة اللغويّة الحديثة، وهذا يعمق مفهومًا راسخًا في نفوس الدارسين اللغويين، ويشكل في وجدانهم إشارات علمية لما حواه فكر الأوائل النقاد العرب البلاغيين من إرهاصات نقدية مبكرة، فرأينا كيف تجلّت نظريّة لسانيّة حديثة موسومة بنظرّية (نحو النص) في رسائل ونوادر البخلاء، وكأنّ النظرية الحديثة أقامت أصولها ومرتكزاتها

(1) مكوك: نوع من المكاييل، يسع صاعا ونصف صاع.
(2) سورة آل عمران، آية: 37
(3) ابن كثير، إسماعيل، (ت774ه)، تفسير القرآن العظيم،ج1، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر،2011م، سورة آل عمران، آية 37.
(4) النووي، يحيى بن شرف، *شرح النووي على مسلم*، دار الخير، مسألة 1795، ص 486 .

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol35/iss10/4

ومبادئها على كتب الأوائل، ولا عجب من ذلك، إذ إنَّ صاحب البخلاء نفسه قد أشار في غير موطن من آرائه النقدية البلاغية إلى وحدة النصوص وتماسكها وانسجامها، ومما يدل على ذلك أن الجاحظ قد أورد خبرًا دل عبره على مدى إدراكه لانسجام أجزاء البيت الواحد أو الأبيات نفسها في القصيدة، إذ جاء في البيان والتبيين نصًا يمثل لنا فيه مفهومه للقِران، والقران هو نفسه الحبك، فقال: "قال بعض الشعراء لصاحبه: أنا أشعر منك، فقال: ولمَ؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"[1]. وقد أشير في كتاب (حبك النصوص) إني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه" مدى إدراك القدماء لمفهوم الحبك- الترابط المعنوي- بين الأبيات، فضلا عن أنهم يميزون بين الأشعار؛ تبعا لما فيها من ترابط معنوي"[2]. مما يشير ذلك إلى اعتماد الدراسات اللغوية الحديثة على دراسة الأوائل من النقاد العرب البلاغيين، وما نظريّة نحو النص بمعاييرها السبعة: السبك والحبك والقصدية والموقفية والإعلامية والمقبولية والتناص إلا امتداد حقيقيّ ضارب بجذوره في التراث العربي البلاغي القديم، سوى أنَّ تلك المعايير لم تكن لتحظى بمنهجية علمية متأصلة كما هي عليه الآن من علم مستقلّ بمصطلحات ومفاهيم خاصة، وما تطبيقنا على كتاب البخلاء القديم إلا لفتة لذلك التراث العظيم الذي أصبح نوعًا ما بمعزل عن مواجهة الدراسات اللغوية الحديثة من ناحية تطبيقية؛ نتيجة استعجالات من بعض الدارسين، وعدم إدراكهم لحقيقة تراثهم اللغوي الثمين، أو أن بعضهم يقف مستنكرًا أمام الدرس اللغوي الحديث ناعتًا إياه بالاجترار أو أنه ليس ذا فائدة، وعلى الباحثين أن يترووا بشأن الدراسات الحديثة؛ لأنها تضبط مسائل علمية كثيرة. وكتاب البخلاء قدّم مادة خصبة لنظرية نحو النص ببلاغته العريقة وتراكيبه المتينة، والشواهد التي سقناها نعلم أنها سريعة؛ نظرًا لاستعراض المعايير السبعة، وأملًا من الدارسين والباحثين أن يستكملوا نواة هذه الدراسة، وأن تكون باب علم أمامهم، وأن يتمّ التطبيق دومًا على تراثنا القديم، عوضًا عن التمثيل على بعض الدراسات الحديثة، فما الحديث إلّا امتداد جذريّ لذاك القديم المتأصل.

المصادر والمراجع والدوريات

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن كثير، إسماعيل. (ت774هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، ج1، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر. 2011م
- أبو حمدان، سمير، الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، دار عويدات، بيروت، 1991م.

---

(1) الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، مكتبة المثنى ببغداد، ط2، م1، ص 228

(2) العبد، محمد، *حبك النص*، منشورات من التراث العربي، بحث منشور في فصول، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، ع 59، 2002م، ص 228.

- أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت وريسلر، ط2، المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ط2، ترجمة، د. كمال محمد بشر، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.
- البادي، ميجان، والبازعي، سعيد، دليل الناقد الأدبي، ط1، دار العبيكان، الرياض، 1996م.
- بحيري، سعيد، اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، علامات في النقد، م10، ج38، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 2000م.
- برنكس، كلاوس، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة، د. سعيد بحيري، المختار، القاهرة، 2005م.
- بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، ط1، دار توبقال، المغرب، 1990م.
- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. *البخلاء*، ضبط وتحقيق، د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1999م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، ج3، ط7، مكتبة الخافجي، القاهرة، 1998م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، ج6، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
- حماسة، محمد، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2000م.
- خطابي ، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
- دي بوجراند، روبرت ألان، ودريسلر، مدخل إلى علم النص، ط1، مطبعة القاهرة، دار الكتاب، 1981م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
- السيد، علاء رمضان، ظواهر فنية في لغة الشعر، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996م.

- الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008، ص 80.
- عبد المجيد، جمال، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، 2006م.
- العبد، محمد، حبك النص، منشورات من التراث العربي، بحث منشور في فصول، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، ع 59، 2002م، ص 228.
- عثمان ، أبو زنيد، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1982م.
- فرج، أحمد حسام، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.
- الفقي، إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.
- القالي، أبو علي، البارع في اللغة، تحقيق: هشام الطعان، ط1، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975، ص 493
- مداس، أحمد، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2007م.
- مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في القصيدة الجاهلية، بحث منشور، م10، ع 1،2، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، 1991م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، مفيد قميحة ،ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.

Sources and references

- Holy Quran.
- Abdel Majeed, Gamal. (2006). *Badia between Arabic rhetoric and textual linguistics*, Egyptian Book Authority.
- Abu Ghazaleh, Elham. & Hamad, Ali. (1999). *Introduction to the science of the language of the text, applications of the theory of Robert and Risler*, edition 2, the Egyptian General Book.

- Abu Hamdan, Samir. (1991). *Reporting in the Arab rhetoric*, edition 1, Dar Oweidat, Beirut.
- Al-Abd, Mohammed. (2002). Habak al-Text, *Publications of Arab Heritage, Research published in chapters, issued by the Egyptian Book Commission*, 59, p. 228.
- Al-Badi, Meghan. & Al-Bazai, Saeed. (1996). *Guide of literary critic*, 1, Dar Al-Obeikan, Riyadh,
- Al-Faqee, Ibrahim. (2000). *Textual Linguistics between Theory and Practice*, edition 1, Dar Qab'a for Printing and Publishing, Cairo.
- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr. (1971). *The animal*, the status of his senses, Mohammed Basil Ayoun al-Sud, section(6), Dar al-Wakab al-'Ali, Beirut, Lebanon.
- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr. (1998). *Albbayn and Tibiin, an investigation and explanation*, Abdul Salam Harun, section (3), edition (7), Al-Khafji Library, Cairo.
- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr. (1999). *Al-Bakhla*, failure control, d. Yousef Al-Samaili, Modern Library, Sidon, Beirut,
- Al-Nuwairi, Ahmed bin Abdul Wahab. *(*2004). *End of the quarters in the arts of literature, investigation*, Mufid Qamyha, section (3), Dar al-Kuttab al-Ulmia, Beirut, Lebanon.
- Al-Qaly, Abu Ali. (1975). Linguist, Investigation: Hisham Al-Ta'an, I1, Renaissance Library, Baghdad, Arab Civilization House, Beirut, 493.
- Al-Sabihi, Mohammed al-Akhdar. (2008). Introduction to the science of text and its areas of application, Arab House of Science, Publishers, Al-Ta'ad Publications. 80.
- Alsayed, Alaa Ramadan. *(*1996). *Technical phenomena in the language of poetry, Union of Arab writers, Damascus*.

- Beheiry, Said. (2000). *Contemporary Language Trends in Text Analysis*, Marks in Criticism, M10, section 38, The Literary Literary Club, Jeddah.
- Bennis, Muhammad. (1990). *Modern Arabic Poetry and its substitutions*, edition 1, Dar Toubkal, Morocco.
- Bougara, Numan. (2009). *Basic Terminology in Textual and Speech Analysis*, edition 1, The World of Modern Books, Irbid, Jordan.
- Brinks, Klaus. (2005). *Textual Analysis of Text Introduction to Basic Concepts and Methodologies, Translatio*n, d. Said Bahiri, Mokhtar, Cairo.
- De Bogrand, Robert Allen, and Dreisler, (1981). *Introduction to Text Science*, I, Cairo Press, Dar al-Kuttab.
- enthusiasm, Muhammad. *Grammar and significance Introduction to the study of the grammatical semantic*, edition 1, Dar Shorouk, Cairo.
- Faraj, Ahmed Hossam. (2007). *The Theory of Text Science A Methodological Perspective in the Construction of Prose Text*, edition 1, The Library of Arts, Cairo.
- Ibn Katheer, Ismail. (date :774). (2011). *Interpretation of the Great Quran*, C 1, House of Revival of Arabic Books, Press Issa Albaby Halabi, Egypt.
- Khatabi, Muhammad. (2006). *Linguistic Texts Introduction to Harmony of Discourse*, II, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
- Medas, Ahmed. (2007). *The Linguistic Texts Towards a Methodology for the Analysis of Poetic Discourse*, edition 1, The Modern Book World, Irbid, Jordan.
- Muslouh, Saad. (1991). Tow*ards Agromy of the Poetic Text, A Study in the Jahiliyya Poem*, published research, 10, p. 1,2, issued by the Egyptian Book Association.

Published by Arab Journals Platform, 2021

- Omar, Ahmed Mukhtar. (1982). *Alamalama*, Dar Al Oroba Library, Kuwait.
- Othman, Abu Zneid, *Towards the Text Framework and applied studies*, edtion (1), the world of modern books, Irbid, Jordan, 2009.
- Ulman, Stephen. (1999). *The Role of the Word in Language*, edition 2, Translation, d. Kamal Mohamed Beshr, Casablanca, Morocco.
- Zirkali, Khairuddin Ben Mahmoud. (2002). *The flags*, edition (15), Dar Al-Ilm for millions, Beirut, Lebanon.